وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

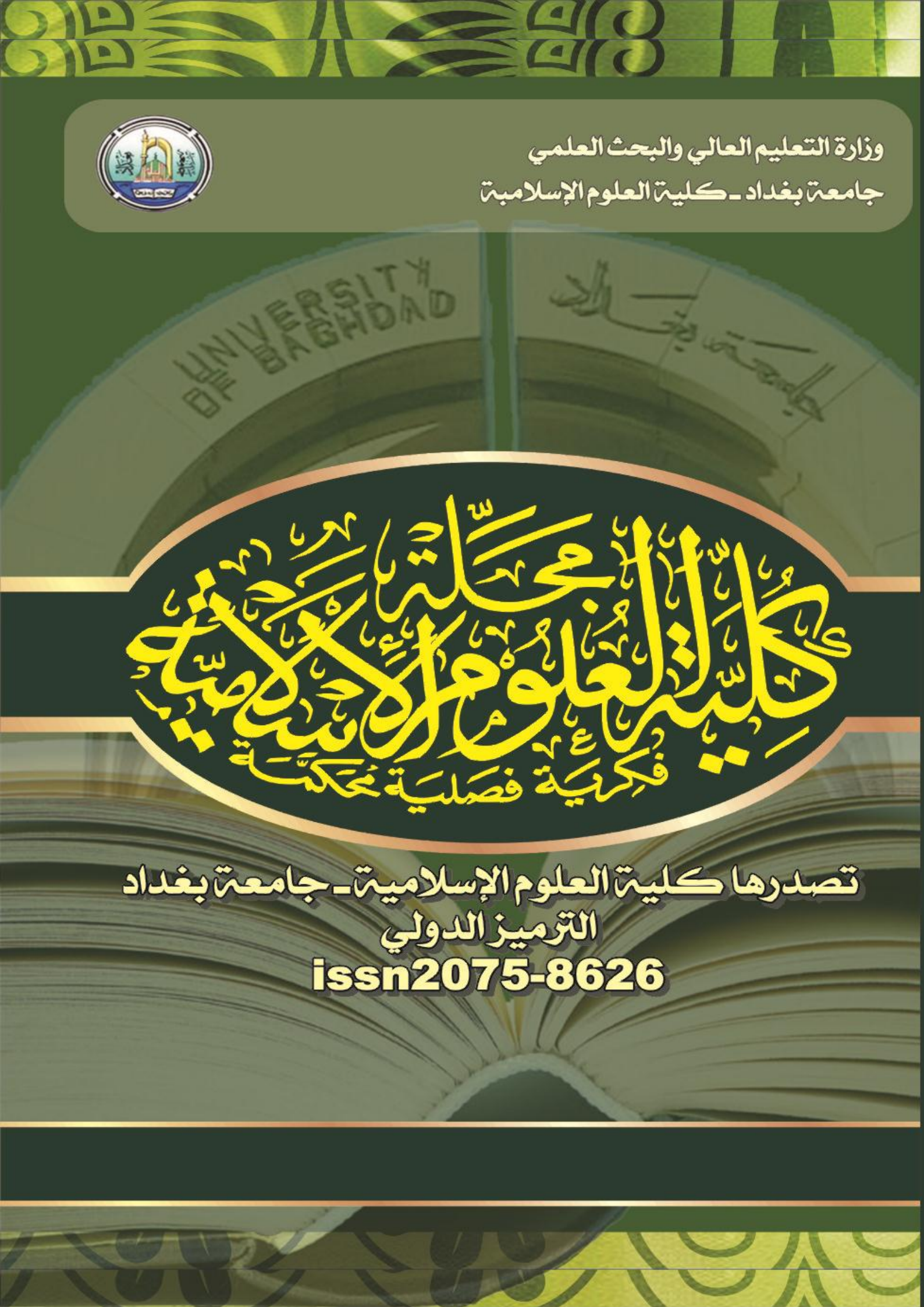

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد . كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

علمية . فصلية . محكمة

تصدرها

كلية العلوم الإسلامية

جامعة بغداد

العـــــدد
(٤٤)

﴿ الجـــزء الاول ﴾

١٩ ربيع الاول ١٤٣٧هـ / ٣٠ كانون الاول ٢٠١٥م

ايميل المجلة : journal@cois.uobagdad.edu.iq

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦م

﴿ فهرس الموضوعات﴾

(الجـــزء الاول)

❁ كلمة العدد ..... ص ﴿١٢-١٣﴾

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
القراءات القرآنية عند الامام الرازي في تفسيره(مفاتيح الغيب)	أ.م.د مهند محمد صالح الحمداني أ.م.د علي جمال علي العاني	١٤-٤٥
الرواة الذين حكم البخاري بضعفهم في تاريخه الكبير والضعفاء الصغير وقواهم أبو حاتم فيما رواه عنه ابنه في كتابه الجرح والتعديل	أ.م.د عماد شمس محي	٤٦-٧١
أحاديث صيام التطوع في الكتب الستة	أ.م.د أحمد عبد الجبار علي غناوي	٧٢-٩٩
أحكام الأقتناء في الفقه الإسلامي إنموذجاً– دراسة مقارنة	أ . م . د حيزومة شاكر رشيد	١٠٠-١٢٨
تحقيق كتاب الرضاع وكتاب السرقة الى نهاية باب قطع الطريق من مخطوط ملتقى الابحر للشيخ ابراهيم بن محمد الحلبي(ت: ٩٥٦ هـ) (دراسة وتحقيق)	أ.م.د قصي سعيد احمد	١٢٩-١٤٧
ردود فقهية على افتراءات سجاح التميمية	أ.م.د. حسن محسن صيهود م.د.غسان سلمان علي	١٤٨-١٦٩
عقود المعاوضات المالية المتعلقة بالحج دراسة فقهية مقارنة	أ.م.د. عمر عدنان علي	١٧٠-٢١١
ماهية عقد مزارعة أرض الوقف في الفقه الإسلامي وقانون الأوقاف الجزائري	د. دليلة براف	٢١٢-٢٦٩
لغة الخطاب النصي سورة النازعات انموذجا	أ.م.د. احمد رجب حمدان	٢٧٠-٣١٤
رؤية الله تبارك وتعالى حسب المباحث العقدية الواردة في تفسير ابن العربي المالكي (٥٤٣هـ)	أ.م.د طارق محمد سميان	٣١٥-٣٤٢

﴿ فهرس الموضوعات﴾

(الجـــزء الاول)

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
لغة بشار بن برد الشعرية في الخطاب النقدي الأدبي الحديث (دراسة في نقد النقد)	أ.م.د عبدالرحمن مرضي علاوي	٣٤٣-٣٧٠
زيادة الباء عند العكبري في كتابه التبيان في إعراب القرآن	د. طه شداد حمد العبيدي د. جابر كركوش مهنا الشّمري	٣٧١-٣٩٦
تقديرُ الأسماء والأفعال وبعض الأحرف مراعاةً للصناعة النحوية	أ. م.د علي جبار عيسى	٣٩٧-٤١٤
التسامح وأثره في بناء المجتمع	أ.م.د. عبد هادي فريح القيسي	٤١٥-٤٦٠
منهجية "مفهوم السيادة" في الفكر السياسي الاسلامي المعاصر	أ.م.د سلام مجيد فاخر	٤٦١-٤٩٤
من أحكام الأقليات غير المسلمة في المجتمع المسلم	أ.م.د محمد نبهان إبراهيم رحيم الهيتي	٤٩٥-٥٤٢
عبثية الفكر الاستشراقي وانحرافه في تأويل النص القرآني عرض ونقد	د.عمار باسم صالح م.رغد سليم داوود	٥٤٣-٥٧٠
أحكام الألعاب القتالية في الفقه الإسلامي	م.د وليد منفي عبد ظاهر الخليفاوي	٥٧١-٥٩٦
النجاسات المعفوات في حق المريض والمسّن	د. رزكار احمد عبد الله	٥٩٧-٦٢٩
ســـر الزواج في الديانة المسيحية دراسة وصفية	م. د. خالد أحمد حسين العيثاوي	٦٣٠-٦٤٤

لغة الخطاب النصي

سورة النازعات انموذجا

Language of Textual Discourse

Al Nazi'at Surat as a Model

الباحث

أ.م.د. احمد رجب حمدان

جامعة بغداد/ كلية العلوم الاسلامية

By: Asst. Prof. Dr. Ahmed Rajab Hamdan

لغة الخطاب النصي سورة النازعات انموذجا

فإنّ من خواص لغة الخطاب الافهام والاقناع. فما عرف البلاغة من لم يعرف لغة الخطاب. فلا بد من الاشارة الى أن قوة الكلمة تعتمد على رديفتها في التركيب لإفصاح مكنونها وربما تعتمد على ما يضاف اليها من حروف الزيادة او ما يسمى بالتشديد وبيان النبر الصوتي للكلمة.

ومن حسن لغة القران أنْ جمع بين حسن الاداء في مواطن الخطاب والابتداء والوقف، واستعمال هذه اللفظة في محلها وغيرها في محل اخر، وبين جمال التركيب في استعمال الالفاظ داخل الجمل بحروف لا يصلح مكانها غيرها.. عما سنرى في ثنايا البحث (ان شاء الله تعالى).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين أنزل أحسن الخطاب وأتقن فن الجواب، والصلاة والسلام على خير معلم مَلَكَ جوامع الكلم فحاز حسن الإيجاز وفن الخطاب وعلى آله يواقيت التعبير والبيان وصحبه مقاليد الفكر وسلّم تسليما مباركا طيبا.

وبعـــد:

فإنّ مما خص الله تعالى به اللغة العربية أن اختارها على جميع اللغات، فأصبحت الوعاء الذي لا يقدر بثمن؛ لأساليب عدة ومعان لا تنقطع فإنك من أين جئت النص وجدته لؤلؤا يتوهج ونورا يضيء وبصيرة تسوق صاحبها وقراءها إلى طريق الحب والجمال. فقد تشرفت اللغة العربية حين أصبحت لغة القران، وصارت منتدى المجالس والتباهي، والخطب، والدعوة والإرشاد وغير ذلك. وإنّ بصونها يتم فهم لغة القرآن الكريم. وهذا إشعار بأنها باقية ما بقي القرآن الكريم. فأي فخر وعلو شأن من بين اللغات لهذه اللغة العالية. وكيف لا يكون كل هذا لها وهي لغة خطاب قبل أنْ تكون لغة كتابة وسطور، إذ كانت الأشعار، والخطب، والأحاديث تتناقل من الأفواه إلى الأسماع. ولِمَا في هذا الموضوع من أهمية بالغة، وحاجة كل المجتمعات إليه، وكل الطبقات وعدم دراسته الدراسة المتكاملة في مثل سورة النازعات. وإنني بعد النظر في الأساليب الخطابية لشريحة كبيرة من المثقفين في المراكز التربوية، والاجتماعية، وكذا الإدارية فإنّي وجدتها لا ترقى إلى المستوى المطلوب. واقرب دليل هو ما يحدث عند طلبة المدارس والجامعات وخريجي الإعداديات والكليات يتخرجون من مراحلهم الدراسية وهم لا يحبون اللغة العربية بل قد يصبحون أعداءاً لها ويفضلون بعض اللغات الأخرى عليها، كان اختياري لهذا الموضوع.

وقد جعلت منهج البحث على مفاصل عدة فبينت فيها معنى اللغة، والخطاب والنص، وما بينها من تلاقح دلالي، ثم بينت من تحدث عن هذه المصطلحات مجتمعة ومنفردة ثم ما تميزت به هذه اللغة من معان في أساليبها وألفاظها ودلالاتها ثم بينت الصور الدلالية الخطابية في النص القرآني في سورة (النازعات). ولكي تبقى جمالية النص القرآني كما هي في ترتيبها سوف اتناول موضوع لغة الخطاب النصي في هذه السورة كما هو في السورة متسلسلا من أول آية ولا أحدد موضوعات السورة على شكل مواضيع بل أدرس موضوعات السورة حسب تسلسل الآيات في السورة.

التمهيد

قبل البدء بدراسة لغة الخطاب النصي في سورة النازعات لا بد من الاشارة إلى كل من: اللغة، والكلمة، والكلام، والخطاب، والنص؛ لأنّه ما من دراسة لغوية ناجحة تستقيم من دون هذه المصطلحات. ولِمَا للكلمة المفردة من أهمية، وما للكلام من رصانة سياقية فلا بد من الإشارة إلى هذه المصطلحات؛ لأنّها أساس موضوع دراستي في هذا البحث.

اللغة: قال الأصمعي (لَغَا يَلْغُو إذا حلف يمينًا بلا اعتقاد، وقيل معنى اللغو الاسم، ويقال لَغَوْتُ باليمين. وقيل: لَغَا في القول يَلْغُو ويَلْغَى لغًا ولَغِيَ بالكسر يَلْغِي ومَلْغَاةً أخطأ وقال باطلاً)(١)، قال العجاج:

ورُبَّ أسرابٍ حَجَيْجٍ كُظَّمِ ..... عن اللَّغَا ورَفْثِ التَّكَلُّمِ(٢)

اللغة في الاصطلاح هي: (اصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)(٣)، وهذا افصح ما قيل في تعريف اللغة. وهي وسيلة الخطاب. ولولاها لما استطعنا التواصل والتفاهم مع اجناسنا(٤). وقال ابن خلدون في معنى اللغة: (اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب)(٥). وذهب بعض أهل اللغة إلى أبعد من هذا التعبير للغة، فمنهم من تجاوز لغة الاصوات إلى لغة الاشارة كإشارات المرور وإشارة الدخان وإشارة اليد(٦). ولكن ما يعنينا من هذا هو لغة الاصوات فقط. ولما للكلمة المفردة من اهمية، وما للكلام من رصانة سياقية لا بد من الاشارة الى الكلمة، والكلام؛ لأنهما من موضوع دراستي في هذا البحث.

الكلمة: الكلمة لغةً هي: اسم، والجمع: كَلِمات. والكلِمَةُ عند النحاة: اللفظةُ الدَّالةُ على معنًى مفرد بالوضع، وتكون: اِسْمٌ يَدُلُّ عَلَى مَوْصُوفٍ، أو فِعْلٌ يَدُلُّ عَلَى حَالَةٍ أَوْ حَدَثٍ، او حَرْفٌ. والكلِمَةُ: الكلامُ المؤلَّفُ المطوَّل، قصيدةً، أَو خُطْبَةً، أَو مقالةً، أَو رسالة(٧). والكَلِمَةُ: اللفظةُ الواحدة. والكلِمَةُ: الجملةُ أَو العبارةُ التامةُ المعنى، كما في كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله). وكلمة الله: حُكْمُهُ أَو إرادتُه(٨). وفي التنزيل العزيز:{وَكَلِمةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا}(٩)، وقوله تعالى: {كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا}(١٠).

الكلام: يقول احمد بن فارس: (الكَلام؛ تقول: كَلَّمْتُه أكَلِّمُه تَكْلِيمًا، وهو كَلِيمي إذا كلَّمك أو كلَّمته)(١١).وعند النحويين يقع على الجزءِ منه اسمًا كان أم فعلاً أم أداة. والكَلاَمُ فِي النَّحْوِ: جُمْلَةٌ مُرَكَّبَةٌ مُفِيدَةٌ. والكلام يقع على الألفاظِ المنظومة وعلى المعاني التي تَحتها مَجموعة(١٢)، كما في قوله تعالى: {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ}(١٣). والكلام: (كلُّ كلام مُستقل، إن زدت عليه شيئًا غَيْرَ مَعقود بغيره، ولا مُقْتَضٍ لسواه)(١٤). ويقول سوسير: (إن الكلام هو إنجاز للغة ضمن حدث خطابي، وإن إنتاج الخطاب المفرد إنما يتم بواسطة متكلم مفرد)(١٥). وكل هذا يعود الى ان (الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها، ويبين مراتبها، ويكشف عن صورها، ويجني صنوف ثمرها، ويدل على سرائرها، ويبرز مكنون ضمائرها، وبه ابان الله تعالى الإنسان من سائر الحيوان، ونبه فيه على عِظَم الامتنان، فقال عز من قائل: {الرَّحْمَنُ،

عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}(١٦))(١٧). و(الكلام: هو الأثر الناتج عن إرادة التكلم، وهو بهذا يجمع بين الجانب الإنساني من حيث الإرادة والجانب الاجتماعي من حيث فعل الكلام، ويبلغ الكلام أعلى درجات الصدق إذا تحقق فيه التوافق بين إرادة التكلم، والظاهرة اللغوية. وفي إرادة التكلم يظهر الموقف الإنساني وهو مختلف من إنسان إلى آخر، يتطلب هذا اختلاف في الظاهرة الكلامية لأن الكلام رهن بالمواقف التي يقال فيها)(١٨). فالكلام هو مجموعة الالفاظ المنتقاة المركبة للدلالة على معنى بذاتها.

الخطاب: خطب: الخطب: الشأن أو الأمر، صغر أو عظم. وقيل: هو سبب الأمر. يقال: ما خطبك؟ أي: ما أمرك؟ وتقول: هذا خطب جليل، وخطب يسير. والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال؛ ومنه قولهم: جل الخطب؛ أي: عظم الأمر والشأن. وفي حديث عمر(رضي الله عنه) لما قالوا له: قد أفطروا في يوم غيم من رمضان، قال: الخطب يسير. وفي التنزيل العزيز: { قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُوْنَ }(١٩)، وجمعه خطوب(٢٠). وذكر صاحب التهذيب: قال بعض المفسرين في قوله تعالى: { وَفَصْلِ الْخِطَابِ} قال: هو أن يحكم بالبينة أو اليمين؛ وقيل: معناه أن يفصل بين الحق والباطل، ويميز بين الحُكم وضده(٢١). ونجد أن صاحب" لسان العرب" في تعريفه اللغوي بيَّن أن الخطاب هو مراجعة الكلام(٢٢) بين طرفين أو أكثر، بحيث يتم تبادل رسائل لغوية. وهو نفس المعنى الذي نجده عند التهانوي حين عرف الخطاب بأنه توجيه الكلام نحو الغير للإفهام (٢٣)، ونجده كذلك عند أبي البقاء الكفوي حين يقول: (الخطاب هو الكلام الذي يقصد به الإفهام، إفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع، فإنه لا يسمى خطابا)(٢٤). ومن التعاريف الحديثة للخطاب أنه: (مظهر نحوي مركب من وحدات لغوية، ملفوظة أو مكتوبة، تخضع في تشكيله وفي تكوينه الداخلي لقواعد قابلة للتنميط والتعيين، مما يجعله خاضعا لشروط الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه أسردياً كان أم شعرياً)(٢٥). ومن مشتقاتها الخطابة وهي: (فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشمل على الإقناع والاستمالة)(٢٦). وقيل إن الخطاب هو: (جملة ما يصدر عن المتكلمين من أجل الإقناع والتأثير)(٢٧). وذهب بعضهم الى ان دواعي تحليل الخطاب بمنهجه الجديد: (يجب أن يراعي اجتماع الخصائص اللسانية والقضايا الفكرية والاعتبارات النفسية والبويطيقية والفنية. وهذا الاجتماع هو الخطوة الأساس لفهم أي نص/ خطاب. لكننا نعتقد أن تحليل الخطاب يجب أن يتجاوز كل هذا إلى ما هو أعمق باعتماد الاستقراء والاستنباط، والتأويل مع الاستعانة بالأدوات السيميائية المسهلة لفتح سبل الإشارات والدلالات)(٢٨). وقد اشتمل هذا التعريف على مميزات الخطاب اللغوي وهو ما نعنيه في هذا البحث. ولذا فان الخطاب هو الحوار الهادف للوصول الى الغايات المنشودة، اذ لا يستغني عنه متكلم واع، ولان كل متكلم يحتاج الى هذه الوسيلة للتوصل الى مبتغاه صغيرا ام كبيرا عالما ام جاهلا غنيا ام فقيرا. فكل يحتاج الى الوسيلة الأمثل، وكل بأسلوبه الخطابي المميز الذي يتوصل به الى المقابل من المخاطبين. فلا بد لكل من هؤلاء من نص واضح يفهمه كل مستوى من مستويات الناس لان الناس على طبقات. فان لم يكن النص واضحا لمستوى المخاطب فلا فائدة منه بل يكون فتنة لسامعه وقارئه. لذا جاء في الاثر (لَا تُحَدِّثْ بِحَدِيثٍ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ، فَإِنَّ مَنْ لَا يَعْرِفْهُ يَضُرَّهُ وَلَا يَنْفَعْهُ)(٢٩) وفي صحيح البخاري قال الامام علي عليه السلام: (حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون

أن يكذب الله ورسوله)([٣٠]) وروي هنا بلفظ "يعرفون" وهي: ضدّ ينكرون، لا ضد يجهلون؛ أي بمعنى: حدثوهم بما تصل عقولهم إلى فهمه وادراكه دون ما يعزّ عليها فهمه فتعدّه منكراً ومحالاً([٣١]).

ومثله قال ابن مسعود: (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة)([٣٢]). فلا بد من معرفة فن القول عند كل متحدث اذ لا يصح التحدث من دون معرفة قيمة القول والغاية منه. (فتعرف الإنسان: متى يتكلم، وماذا يتكلم، ومتى يسأل، وهل يسأل عن شيء يجهله أم يعلمه، وإذا سُئل بماذا يجيب، هل تكون الإجابة مباشرة أم غير مباشرة، ومتى يوري في الخطاب ومتى يتكلم بكلام يحمل أكثر من معنى، فربما يجيد أحدنا القراءة والكتابة وحفظ القواعد إلا أنه لا يجيد مخاطبة الآخرين)([٣٣]) ومن هنا لا بد من معرفة اساليب الخطاب اللغوي؛ ليتسنى لكل متكلم تحقيق الحوار مع الآخر.

النص: في لسان العرب لابن منظور: النص: رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصاً: رفعه. وكل ما أُظهِر فقد نُصَّ. والنص أصله منتهى الأشياء، ومبلغ أقصاها، ومنه قيل: نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء، حين تستخرج كل ما عنده، وفي حديث هرقل: ينصهم أي يستخرج رأيهم ويظهره ومنه قول الفقهاء: نص القرآن، ونص السنة. أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام. وانتص الشيء وانتصب إذا استوى واستقام([٣٤]). لذا فالنص هو اللفظ او التركيب الذي يدل على الحكم الذي سيق لأجله الكلام دلالة واضحة. والنص أصله منتهى الأشياء([٣٥]). وان من معاني كلمة نص في اللغة والأدب: الكلام المقتبس، وايضا الكلام المطبوع أو المخطوط يقولون نص المسرحية، ونص الرواية، ونص القصيدة([٣٦]). واستعمل الأدباء، ومؤلفو التاريخ كلمة النص للدلالة على ما اقتبس من كلام الآخرين. ولذا يقولون: اقتبست من كلام فلان نصه أو قرأت في كتاب فلان ما نصه([٣٧]).

تعانق العنوان في مفرداته: وبعد هذه السياحة في ما يعتمد عليه البحث لا بد من الاشارة إلى علاقة تعانق عنوان البحث؛ فإن أصل تعانقه يعتمد على مقطعين. الأول: لغة الخطاب. والثاني: الخطاب النصي. أما لغة الخطاب فمن الخطاب ما هو حسن ممتاز، ومنه ما هو ردئ مستقبح؛ إذ إن لغة الخطاب تعتمد اللفظة المفردة المجردة، وتعتمد على تعانق الالفاظ فيما بينها لِتُكوِّن سياقا نغميا جميلا.

أما الخطاب النصي: فإن من أفضل أساليب الخطاب هو من جعل السامع يتواصل معه في التلقي، والتواصل إلى منتهى النص. ومن هنا يمكننا القول:(إن التحليل الأسلوبي لمضامين النص القرآني الوجدانية، إنما هو صورة ترسم انفعال المتلقي بالنص، دون أن ترسم انفعال المرسل، وذلك لسببين:الأول: المتلقي (موضوع الخطاب) يُعدُ جزءاً من دلالة الخطاب نفسه، فهو المنفعل فيه من جهة، وهو الذي يجليه سلباً كان أم إيجاباً من جهة أخرى. ولأنه كذلك، يصبح أداة الخطاب في الدلالة على معرفته، وادراكه، فتتعين العلاقة بهذا بين خطاب القائل والمستمع دالاً، ومدلوله. والثاني: (النص) وما دمنا ننظر إلى القرآن بمنظور أن الله في التصور الإسلامي، لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء {

لِيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}([٣٨])؛ فسنرى أن ثمة علاقة تجاذبية تقوم بينه وبين المتلقي. فالدال يدل من جهة على متلقيه ويتعدد به. والمتلقي من جهة ثانية، يرتبط به ارتباط المستدل بغيره على نفسه، وبه يتحول([٣٩]).

ولقد عبر الامام الجرجاني (ت٤٧١هـ) عن هذا المعنى بخصائص ملتزمة في القران الكريم فقال إن (للكتابة القرآنية خصائص لم تعرف قبل نزول القرآن، ويرى أنها لا تكمن في الكلمات المفردة من حيث جمال حروفها وأصواتها وأصدائها ولا في معاني الكلمات المفردة، التي هي لها بوضع اللغة، ولا في تركيب الحركات والسكنات، ولا في المقاطع والفواصل، وإنما تكمن هذه الخصائص في النظم والتأليف اللذين يقتضيان الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز فمن هذه يحدث النظم والتأليف، وبها يكونان)([٤٠]). ودعا الجرجاني الى(النظرة الشمولية التي تمكن القارئ من الوقوف على جماليات النص الأدبي ... وقد لا يستطيع أن يقف على أسرار النص ما لم يستفرغ جهده في تأمل القطعة الأدبية كاملة، وبعد ذلك يستطيع أن يتبين المزايا التي تجعله يقف على ما فيها من براعة النقش وجودة التصوير والتعبير)([٤١]). ويذهب حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) إلى أن النص لا بد أن تتميز فيه مميزات البناء التركيبي والاسلوبي([٤٢]). (ولم تكن الإشكالية في دراسة (النص القرآني) في أي من مستوياته، ولكن الإشكالية بدأت تظهر مع ظهور المنهج النصاني، ومحاولة تطبيقه على القرآن من قبل بعض المثقفين والنقاد وإخضاعه لشروط النظرية النصية والادعاء بأن القرآن (نص) بالمفهوم الحديث والمعاصر للنص وأنه يشتمل على وظائف الاتصال)([٤٣]). وان الخطاب اذا كان في مقام التكريم أو رثاء فلا يحسن أنْ يكون معتَمدا على الجانب الخيالي. بل على المخاطب أنْ يذكر ما للمخَاطَب من مآثر، وأعمال حسنة يستحسنها المخاطَب([٤٤]). وهنا لا بد من الاشارة إلى أنْ أسلوب الخطيب يختلف تماما عن أسلوب الشاعر والقاص. فإنّ أسلوب الأديب لا يستحسن في مقام الخطيب، ولا في مقام القاص فمتى استعار الخطيب اسلوب الشاعر، وطريقة تعبيره او اسلوب القاص، وسرده باءت خطبته بالفشل خصوصا اذا ملأها بجوانب الخيال، او السرد المطول. فأسلوب الشعر بما فيه من وزن، وقافية يثير المشاعر، ويبعث في نفوس السامعين شيئا من الحماس، وأسلوب القصص بما فيه من اطالة يملها المخاطَب تفقد الخطاب النصي جماليته([٤٥]). وللغة الخطاب القرآني أساليب عدة منها: أسلوب الشرط والاستفهام والموصول والقسم وفعل الأمر والنهي والوصل والفصل والتقديم والتأخير وأسلوب القصص إلى آخرها من الأساليب. وهذه من أفضل الأساليب لكسب الأسماع وجذب القلوب للانتباه، والتلقي والانتباه وربما التحيير. يقول ابن فارس(ت٣٩٥هـ): ومن أراد معرفة الخطاب فعلية أن يلم بعلم العربية الأصل والفرع. (أمَّا الفرعُ فمعرفة الأسماء والصفات كقولنا: "رجل" و "فرس" و "طويل" و "قصير" وهذا هو الَّذِي يُبدأ بِهِ عند التعلُّم. وأمَّا الأصلُ فالقولُ عَلَى موضوع اللغة وأوَّليتها ومنشأها، ثُمَّ عَلَى رسوم العرب فِي مخاطبتها، وَمَا لَهَا من الافْتِنان تحقيقاً ومجازاً)([٤٦]). ويؤكد ابن فارس على الخطاب العالي في القران الكريم فيقول: (وَمَا فِي كتاب الله جلّ ثناؤه من الخطاب العالي أكثر وأكثر، قَال الله جلّ وعزّ: { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ }([٤٧]) و{ يَحْسَبُوْنَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ }([٤٨])، و{ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوْا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا }([٤٩]) و{ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ }([٥٠]) وهو أكثر من أن نأتي عَلَيْهِ) و(قال قوم: الأسماء سِماتٌ دالَّة عَلَى المُسَمَّيَات،.. ليُعرَف بِهَا خطاب المخاطب)([٥١]).

اسس اعتماد الخطاب النصي: لا بد للغة الخطاب النصي من اسس يعتمد عليها لأجل استمرار الخطاب وفهمه بين المتلقي والقائل؛ يقول ابن فارس: (باب الخطاب الذي يقع به الإفهام من القائل: والفَهم من السامع يقل ذلك بين المتخاطبيْن من وجهين: أحدهما الإعراب، والآخر التصّريف. هذا فيمن يعرف الوجهين، فأمّا من لا يعرفهما فقد يمكن القائل إفهامُ السامع بوجوه يطول ذِكرها من إشارة وغير ذلك وإنّما المُعَوَّل على ما يقع في كتاب الله جلّ ثناؤه من الخطاب أو في سنة رسول الله (ﷺ) أو غيرهما من الكلام المشترك في اللفظ. فأمّا الإعراب – فبه تُميَّز المعاني ويُوقَف على أغراض المتكلمين. وذلك أنّ قائلاً لو قال: ما أحسنْ زيدْ غيرَ معرب أو ضربَ عمرْ زيد غير معرب لم يوقَف على مراده. فإن قال: ما أحسنَ زيداً أو ما أحسنُ زيدِ أو ما أحسنَ زيدٌ أبانَ بالإعراب عن المعنى الذي أراده. وأما التصريف: فإنَّ من فاته علمُه فإنه المُعظَم، لأنا نقول: وَجَدَ وهي كلمة مبهمة فإذا صرفنا أفصحتْ فقلنا في المال وُجْداً وفي الضالة وِجْداناً وفي الغضب مَوْجِدَةً وفي الحزن وَجْداً)([٥٢]). ولنعلم أن الخطاب منه ما يقوم على اللفظ ومنه ما يقوم على المعنى ولا يتم الحسن لهما إلا بما يضفي كل واحد منهما من جرس في أذن السامع يقول الجرجاني:(ومن البين الجليّ ان التباين في هذه الفضيلة، والتباعد عنها الى ما ينافيها من الرذيلة، ليس بمجرد اللفظ. كيف؟ والالفاظ لا تفيد حتى تُؤلَّف ضربا خاصا من التأليف، يُعمَد بها الى وجهٍ دون وجهٍ من التركيب والترتيب)([٥٣]). ثم يبين ذلك بمثال ادبي على ان البيان لا يقوم باللفظ وحده فيقول:(فلو أنك عمدت الى بيت شعر أو فصْل نثر فعددت كلماته عَدًّا كيف جاء واتّفق ،وابطلت نَضَدَهُ ونظامه الذي عليه بني، وفيه أُفْرِغ المعنى وأجري، وغيرتَ ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد، وبنَسَقِه المخصوص أبان المراد، نحو ان تقول في:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل([٥٤])

"منزل قفا ذكرى من نبك حبيب" اخرجته من كمال البيان، الى مجال الهَذَيان. نعم، واسقطت نسبتَه من صاحبه، وقطعتَ الرَّحِم بينه وبين مُنْشِئه، بل أَحَلْتَ أن يكون له اضافةٌ الى قائل، ونَسَبٌ يختصُّ بمتكلم. وفي ثبوت هذا الصل ما تَعْلم به أن المعنى الذي له كانت هذه الكلم بيتَ شعر او فصلَ خطاب، هو ترتيبها على طريقة معلومة، وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة. وهذا الحكم ـ أعني الاختصاص في الترتيب ـ يقع في الالفاظ مرتَّبا على المعاني المرتَّبَة في النفس، المنتظمةِ فيها على قضية العقل.... وعلى ذلك وُضِعت المراتب والمنازل المركبة، وأقسام الكلام المدونة)([٥٥]). ويتضح من بيان النص الادبي شعرا او نثرا ما به من ايجاز يرتبط بالحديث سواء في المعنى المفرد للجملة او في سياق ما قبلها او بعدها.([٥٦]) ولا يقوم هذا الفهم الا اذا توافرت دواعي الفهم والافهام لدى المتكلم والسامع معا. والمتكلم تتطلب ان تكون لديه اساليب التواصل الاجتماعي والمعرفي لان المستمع له مقام المعرفة ومن هنا فلا يصح مخاطبة المستمعين بالخيالات البعيدة والافكار العقيمة، لذا ذُم من يتحدث بما يفهمه المتكلم ولا يفهمه الاخرون ولا يعقله المستمعون([٥٧]). قال بشر بن المعتمر([٥٨]) مبينا لزوم مراعات القضايا المتعلقة بالمتكلم والمخاطب: (ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا، ولكل حالة من ذلك مقامًا حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار

المستمعين على أقدار تلك الحالات)([٥٩]). وتتبين قيمة الجمال في الاعجاز القرآني ببنية اللفظة وبناء الجملة التكوينية ... متكوّنة بالعناصر الآتية:

جمال العناصر الأساسية المكونة له. وانسجام هذه العناصر الأساسية مع بعضها وعدم تنافرها. وجمال المعنى ونبل المقصد الذي تعبر عنه هذه التركيبة([٦٠]).

وإن (مما يزيد الوعي عند المتكلم: فهمه ومعرفته بالاستعارات وأبعادها الأدبية والفنية والتي من خلالها يملك القدرة على نقل الكلمات من مكانها التي وضعت فيه إلى مكان آخر لغرضٍ ما يريده، حتى يأتي هذا الخطاب معبرًا ومناسبًا للمعنى المقصود ومحققًا الهدف من الخطاب)([٦١]). ومثال ذلك قوله تعلى: {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَمُوْجُ فِي بَعْضٍ}([٦٢])؛ فكلمة يموج نقلت من مكانها وهو البحار، واستخدمت في مكان آخر لما تتضمنه من معان تناسب المقام الجديد وهو الاضطراب وعدم الاستقرار والحركة المتلاحقة، غير المنتظمة([٦٣]).

دراسة لغة الخطاب النصي في سورة النازعات

<u>لغة الخطاب النصي في سورة النازعات حسب تسلسل الآيات في السورة</u>: ان للغة الخطاب النصي في سورة النازعات اثرا في المتحدث والمستمع يحتاج منا الوقوف عند كل صورة من صور الخطاب فيها. ومن الجدير بالذكر ان سورة النازعات قد شملت على جوانب مضيئة للخطاب النصي بأساليبها المتعددة وانواعها المتجددة. ولما تقف على اساليبها مع كتب معاني القران وبعض التفاسير تجد نفسك لا تستطيع ان تقف في بحر هذه السورة على ساحل، ولا تنتهي في عمقها الى قعر، تواقة الى دراستها مرة ومرة؛ لما يبهرك من نسيج حياكة الفاظها وامتداد ضوء معانيها الساطعة. وهذا ليس فقط في اطلال لغة سورة النازعات بل تجد ذلك في الفاظ القران الكريم وسياقاته كلها. ومن أعجب ما تراه في هذه السورة أنَّ القران يحاكي المستمعين؛ لينتبهوا لأمر غاب عنهم او تناسوه او اعتادوا على مثله. وما جاءهم به القران هو لباس جديد واطلالة عجيبة لا يقدرون على الاتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. كيف لا وهو الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنقطع حباله، فهو الضوء الذي يبهر العيون ولا يؤذيها، ويحرك الاجساد ولا يتعبها، وينمي الفكرة في عقول السامعين ولا يحيرها بل يطمئن القلب، ويهدئ النفس، ويجعل السامعين ينظرون الى ما حول هذا الاعجاب، وما بعده؛ ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم، وسعادة لأجسادهم، ونموًا لأفكارهم. وها نحن مع ذلك كله مع سورة النازعات.

بدأ ان الله تعالى بدأ الخطاب في السورة بلغة القسم الملفت للانتباه وهو غير ملزم بالقسم لعبيده ولكن القسم كما نعرفه يرفع الملامة عن المقسم حينما يكذبه الاخرون وهذا ما اعتاد القران الكريم عليه في كثير من السور بل لا تخلو اكثر السور من ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا(١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا(٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا(٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا(٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا(٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ(٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ(٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ(٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ(٩)}

الخطاب بأداة القسم: من المعلوم أنّ القَسَمَ له الصدارة في الكلام فكان استهلال الكلام بالقسم بحرف الواو مناسبا لإلفات المخاطب وجعله حريصا على المتابعة في الاستماع، قال تعالى: {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا} وهنا جاء القسم بالواو لمزيته الخاصة في هذا المكان خلاف غيره من ادوات القسم الاخرى. وبدأ الله تعالى السورة بالقسم ببعض مخلوقاته وذلك لتحقيق ما بعده من الخبر وفي هذا القسم مبالغة في تهويل المقسم به[٦٤] ولا يأتي القسم الا اذا كان المخَاطَب منكِراً او لا يعترف بما يتحدث به المخاطِب؛ لذا اقسم الله تعالى تعظيما واجلالا لما جاء به؛ ولمكانته الكبيرة عنده تعالى شانه. وان (القسم على هذا الوجه مناسب للغرض الأهم من السورة وهو إثبات البعث لأَنَّ الموت أول منازل الآخرة فهذا من براعة الاستهلال)[٦٥]. وقد اطال الله تعالى في خطابه في القسم وتعاطفها اكثر من مرة فقال: {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا(١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا(٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا(٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا(٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا(٥)}؛ ليعظم في ذهن المخاطَب شان المقسم به، ولكي لا ينصرف المستمع بسرعة عن الاستماع. وللقسم هنا شان عظيم إذ إنه من عند الله الاعلى وهو غير ملزم بالقسم؛ لان شان القسم ان يكون من المخلوق لا من الخالق. ولكنه هنا وقع ممن لا يلزم بالقسم لمن يلزم بالقسم؛ كي لا يُعذر المشركون المنكرون لهذا الامر يوم ان تتكشف الحقائق يوم القيامة اليوم الموعود.

ذكر الصفة وعدم ذكر الاسم: ذكر الله تعالى صفة المقسَم به ولم يذكر اسمه ذلك ليعظم هول النزع في قلوب السامعين. فلو قال الله تعالى والملائكة التي تنزع الارواح لما كان في القول تلك الشدة ولا ذلك الهول، ولكي يتأصل النزع في الموصوفات اكثر؛ لم يذكر اسمها، وكان فعلها من اسمها، ثم اردف الصفات بمصادر اشتقها من الاوصاف وَأُكِّد بِالْمَصْدَرِ الْمُرَادِفِ لِمَعْنَاهُ وَهُوَ نشطا وسَبْقاً وسبحا لِلتَّأْكِيدِ وَلِدَلَالَةِ التَّنْكِيرِ عَلَى عِظَمِ ذَلِك النشط والسَّبق والسبح.[٦٦] وان مجيء هذه الصفات بهذا الاسلوب ليشعر المستمع بأهمية الامر، وهذه التهديدات كلها وقعت في مكة يوم كان المسلمون ضعفاء ومدة اقامة النبي فيها (ﷺ).[٦٧] وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم جميعا أَنّ الله اقسم بالملائكة وخصَّها بهذا الوصف تَذْكِيرًا للمشركين إِذْ هم في غفلة عن الآخرة وما بعد الموت.[٦٨]

الخطاب بلفظ التأنيث مع ان اللفظ غير مؤنث: لقد جاء لفظ المقسم به بلفظ المؤنث مع ان لفظ المقسم به مذكر وهم الملائكة، (وإنما جاءت هذه الأقسام بلفظ التأنيث والكل وصف للملائكة مع أنهم ليسوا إناثاً لأن المقسم به طوائف من الملائكة، والطوائف جمع طائفة وهي مؤنثة)[٦٩]. وجاءت الصفات مقسم بها مجموعة بألف وتاء بتأويل الجماعات التي تتحقق فيها الصفات المجموعة[٧٠]؛ وذلك لعظم امرها بصيغة الجماعات ولم يأت بها مفردة، بل ولم يذكر موصوف هذه الصفات المقسم بها ليعظم امرها عند المستمع اكثر وبخاصة عندما ينتبه المستمع ويسأل اهذه الموصوفات هي لموصوف واحد ام لأكثر؟[٧١]. وقد اجمل الاوصاف المقسم بها ليتعين المقصود منها (وهذا الإجمال مقصود لتذهب أَفهام السامعين كل مذهب ممكن، فتكثر خطور المعاني في الأَذهان، وتتكرر الموعظة والعبرة باعتبار وقع كل معنى في نفس له فيها أَشدُّ وقع وذلك من وفرة المعاني مع إيجاز الألفاظ)[٧٢].

غاية القسم: بما ان للقسم شأناً عظيما وغاية رفيعة فقد أقسم الله تعالى بهذه الأسماء الخمسة على أن القيامة حق، وان للقسم غاية (إذا رجعت إلى جميع ما أقسم الله به، وجدته إما شيئا أنكره بعض الناس، أو احتقره لغفلته عن

فائدته، أو ذهل عن موضع العبرة فيه، وعمى عن حكمة الله في خلقه، أو انعكس عليه الرأي في أمره، فاعتقد فيه غير الحق الذي قرر الله شأنه عليه- فيقسم الله به، إما لتقرير وجوده في عقل من ينكره، أو تعظيم شأنه في نفس من يحقره، أو تنبيه الشعور إلى ما فيه عند من لا يذكره، أو لقلب الاعتقاد في قلب من أضله الوهم، أو خانه الفهم)[٧٣]. لذا أقسم الله تعالى بهذه الكائنات، ليبين مقدار عنايته بها، وأنه لا يغضبه من عباده أن يتمتعوا بما متعهم به منها، متى أدركوا حكمة الله في هذا المتاع، ووقفوا عند حدوده في الانتفاع. ومن هنا جاء القسم لتوكيد الأمر الذي يقتضى التسليم به، ولا يعذر من عرفه ان ينكره[٧٤].

العطف بين المتغايرات: وعطفت الناشطات والسابحات بالواو والسابقات والمدبرات بالفاء فـ(عطف السابقات بالفاء لأنّها مُسبِّبة من التي قبلها؛ أي: واللاتي يسبحن فيسبقن، تقول: قام فذهب، فهذا يوجب أن يكون القيام سببا للذهاب، ولو قلت قام وذهب بالواو لم يكن القيام سببا للذهاب...والأولى أنْ يقال العطف بالفاء في المدبّرات طويق به ما قبله من عطف السابقات بالفاء، ولا يحتاج إلى نكتة كما احتاج إليها ما قبله لأنّ النّكتة إنّما تطلب لمخالفة اللّاحق للسابق لا لمطابقته وموافقته فالمدبِّرات أمرا)[٧٥]، فالعطف بالواو ليس كالعطف بالفاء، فان العطف بالواو يكون متحدا في الجمع بينها. اما العطف بالفاء فيكون نص الخطاب بين المتغايرات في الوصف لا في الذات[٧٦] وهنا جاء العطف مع اتحاد الكل، بتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي للإشعار بأن كل واحد من الأوصاف المعدودة من معظمات الأمور، حقيق بأن يكون على حياله، مناطا لاستحقاق موصوفه للإجلال والإعظام، بالإقسام به من غير انضمام الأوصاف الأخر إليه. والفاء في الأخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة[٧٧]. والذي يقتضيه المقام هنا أَنَّ المتعاطفات بالواو صِفَات مستقلة لموصوفات مختلفة، أَو لموصوف واحد له أحوال متعددة، وأَنَّ المعطوفات بالفاء صفات لموصوف واحد الذي عطفت عليه بالفاء، فيكون قسما بتلك الأحوال العظيمة باعتبار موصوفاتها[٧٨].

المقسم به: اختلف العلماء في المقسم به على قولين الاول: ان الله تعالى له الحق بان يقسم بما شاء من مخلوقاته؛ لذا اقسم بهذه الاشياء. والثاني: ان الله تعالى لم يقسم بهذه المخلوقات وانما اقسم بنفسه تعالى على سبيل التقدير: ورب هذه المخلوقات[٧٩]. وهذا من سعة المعنى في النص، والعرب تفهم ذلك كله. وهو من الملفت للإفهام هنا ليجعل المخاطَب في حالة تفكر في المقسوم بها خاصة وان الخطاب هنا عام مبهم فلا نعرف من المخاطب في هذا القسم.

جواب القسم: بعد تسلسل ما مضى فإنّ من الملفت للنظر في جذب انتباه المستمعين وجعلهم حريصين على متابعة الاستماع للسورة أن السورة لم تأت بجواب القسم من أول بداية القسم بل بقيت بحال العطف وارجاع الاسماع الى بداية القسم وأنها تسلسلت بالقسم وأدوات العطف حتى الآية الخامسة قال تعالى: {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا(١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا(٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا(٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا(٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا(٥)} وهذا كله جاء قبل مجيء جواب القسم وهو مما يجعل المخاطَب متعلقا في استماعه حتى يعرف الجواب من بعد هذا التسلسل بالقسم والعاطفات والمعطوفات العظيمة وحتى يعرف ما الحاجة إلى هذا القسم. فيأتي الجواب على اختلاف الروايات بتقدير محذوف هو (لتبعثن) أو :{يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩)}. وقيل: الجواب {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦)} وفي هذا نظر: (فأما جواب القسم ففيه: أنه محذوف دلّ عليه دلالة واضحة، والمعنى والنازعات لتبعثنّ

فقالوا: أنبعث إذا كنا عظاما نخرة فقولهم: أَإِذا كُنَّا يدلّ على ذلك المحذوف، وقيل: الجواب{إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى(٢٦)} وهذا بعيد لأنه قد تباعد ما بينهما، وقيل حذفت اللام فقط. والتقدير: ليوم ترجف الراجفة وهذا أيضا أبعد من ذاك لأن اللام ليست مما يحذف لأنها تقع على أكثر الأشياء فلا يعلم من أين حذفت ولو جاز حذفها لجاز والله زيد منطلق، بمعنى اللام)[٨٠] ولو أنّ صريح الكلام موعظة إلّا أنّ الإيجاز في الكلام أكثر سبكا في الالفاظ وأشمل في المعاني[٨١].

ولم تُقرن جملة الجواب القسم بلام جوابه لبعد ما بين الجواب وبين القسم بطول جملة القسم، فيظهر لي من استعمال البلغاء أنّه إذا بعد ما بين القسم وبين الجواب لا يأتون بلام القسم في الجواب، ولأنّ جواب القسم إذا كان جملة اسمية لم يكثر اقترانه بلام الجواب ولم يصرح بجوازه ولا بمنعه، إلّا أن صاحب (المغني)[٨٢] ذكر أنّ اللام في قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ)[٨٣] لام جواب قسم محذوف وليست لام جواب (لو) بدليل كون الجملة اسمية، والاسمية قليلة من جواب (لو) فلم ير جملة الجواب إذا كانت اسمية أنْ تقترن باللّام. وجعل صاحب (الكشاف) تبعا للفراء وغيره جواب القسم محذوفا تقديره: لتبعثُنّ[٨٤]. وقد ورد النص هنا عاما في كل من سيقف من غير المؤمنين فهو مقصود في الخاطب ويتضح ذلك جليا من قولهم وسؤالهم الانكاري: {يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ(١٠) أَإِذا كُنَّا عِظاماً نَخِرَةً(١١)} وهذا اثبات لان يكون الجواب لتبعثن. وخطابهم كان ردا على ما اشار اليه رب العالمين من خطاب القسم. فكان قولهم انكارا وازدراء بكلام الله عز وجل.

<u>الخطاب بلفظ (قال) وبعض مشتقاتها</u>: ورد لفظ: يقولون، وقالوا، فقل، فقال، في الآيات الاتية قال تعالى: {يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ(١٠)} و{قالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ(١٢)} و{فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى(١٨)}، و{فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى(٢٤)} والملفت في الخطاب هنا ان لفظ يقولون يكون للمتحير او المتردد في ما يفكر فيه، وربما لمن يريد أنْ يحاور ويجادل. أمّا خطاب الأمر المباشر فيأتي بصيغة (قل) لإقامة الفعل. أمّا الفعل الماضي فإنَّ أسلوبه في هذه السورة له شان آخر في الخطاب، فلما نرجع الى خطاب المعاند مثل فرعون عندما يَئِس من حواره مع سيدنا موسى ما كان منه إلّا أنْ يأتي بخطاب التعنت والتكبر لكي لا يدع بعده خطابا يسمع فقال: {أَنَاْ رَبُّكُمُ الْأَعْلى}. وهذا ما ردده المعاندون حينما أرادوا إنهاء الخطاب والحوار {قالُوا: تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ}. فناسب خطاب المشركين الجبابرة ما خاطب به كبيرهم من قَبْلُ فرعون. (فَقالَ: بيان لنادى. والفاء: للتفسير: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى}[٨٥].

<u>الفاظ سيقت لتنبيه المخاطَبين</u>: عرف العرب استعمال الألفاظ وفنونها ومواطن حسنها وقبحها ولكنهم لم يعتادوا هذه الفنون في استعمال الألفاظ في النصوص الخطابية ومن ذلك قوله تعالى: {وَالنَّازِعَاتُ غَرْقاً} فهذا من الإيجاز اللغوي في الاستعمال الخطابي، حيث أردف النازعات بأنّها تُغْرِق صاحبها؛ لإشعار المخاطب بشدة نزع الروح. فالنازعات تخرج، والغرق يرجع فتصبح الروح بين الخروج، والارجاع كالصوف المبلل المتعلق بالسَّفُود؛ كلّما أرادت أنّ تخرج الروح وجدت تعلقا لها بشيء ؛ كأنّما تريد أنْ تتمزق. ويكون إخراجها من الأعماق[٨٦].

فالنزع هو إخراج الروح من الجسد شبه بنزع الدلو من البئر أو الركية[٨٧]. وهو وصف مشتق من النزع ومعانيه كثيرة كُلُّها تَرْجِعُ إِلَى الْإِخْرَاجِ وَالْجَذْبِ. ويُحْتَمَلُ أَنْ يكون النَّازِعاتِ جماعات مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ. وَأُجْرِيَتْ صِفَتُهُمْ عَلَى صِيغَةِ التَّأْنِيثِ بِتَأْوِيلِ الْجَمَاعَةِ أَوِ الطَّوَائِفِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {قَالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا}[٨٨] [٨٩].

و(الْغَرْقُ): الْإِغْرَاقُ، أَيِ اسْتِيفَاءُ مَدِّ الْقَوْسِ بِإِغْرَاقِ السَّهْمِ فِيهَا[٩٠]. وجاء هنا للمبالغة في النزع.[٩١] والمصدر هنا (مؤكد بحذف الزوائد. وانتصاب نَشْطاً وسَبْحاً وسَبْقاً أيضا على المصدرية، وأما أَمْراً فمفعول للمدبرات. وتنكيره للتهويل والتفخيم)[٩٢]. و(إغْراقاً: انتصابُه بما قبلَه لملاقاتِه له في المعنى، وإمَّا على الحالِ، أي: ذواتَ إغْراقٍ. يُقال: أَغْرَقَ في الشيءِ يُغْرِقُ فيه إذا أَوْغَلَ وبَلَغَ أقصى غايتِه. ومنه: أغرقَ النازعُ في القَوْسِ؛ أي بلغَ غايةَ المَدِّ)[٩٣](وقيل: يرى الكافر نفسه في وقت النَّزع كأنها تغرق) [٩٤]

ولقد سيقت الفاظ أخر؛ ليكون لها وقع في نفوس السامعين. وهذا مما يدع المخاطب منتبها لنفسه حاذرا لها، ومتواصلا للاستماع اكثر من الألفاظ الأخرى، ومن ذلك قوله تعالى:{يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ} وَالرَّجْفُ: الِاضْطِرَابُ وَالِاهْتِزَازُ. وَفِعْلُهُ مِنْ بَابِ نَصَرَ. فجاء بلفظ الراجفة التي اشتقت من فعلها ترجف. وهذا وصف للأرض التي سيقف عليها الناس فترجف بهم، فسميت الارض بها لهول اهتزازها في ذلك اليوم. ثم سيق لفظ واجفة لتلك القلوب التي ستشهد هول ذلك الموقف. وَالْوَاجِفَةُ: الْمُضْطَرِبَةُ مِنَ الْخَوْفِ، يُقَال: وجف كضرف وَجْفًا وَوَجِيفًا، وَوُجُوفًا،إِذَا اضْطَرَبَ[٩٥].

(وواجِفَةٌ: خَبَرُ قُلُوبٌ. وَجُمْلَةُ {أَبْصارُها خاشِعَةٌ} خَبَرٌ ثَانٍ عَنْ (قُلُوبٌ) وَقَدْ زَادَ الْمُرَادَ مِنَ الْوَجِيفِ بَيَانًا قَوْلُهُ أَبْصارُها خاشِعَةٌ، أَيْ أَبْصَارُ أَصْحَابِ الْقُلُوبِ)[٩٦]. ثم يأتي ما يفزع القلوب لما لم يتوقعه المخاطَب وهي الراجفة والرادفة اللتان تجعلان القلوب واجفة والابصار خاشعة، والتي تجعل المستمع يصبح من شدة فزعه متسائلا : يقولون أإنّا لمردودون في الحافرة؟ أإذا كنا عظاما نخرة[٩٧].

(والواجفةُ: الخائفةُ. يقال: وَجَفَ يَجِفُ وَجِيفاً، وأصلُه اضطرابُ القَلْبِ وقَلَقُه. قال قيسُ بن الخطيم: إنَّ بني جَحْجَبَى وأُسْرَتَهُمْ ..... أكبادُنا مِنْ ورائِهم تَجِفُ[٩٨]

عن ابن عباس: (واجِفَةٌ: خائفةٌ، بلغة هَمْدان. ويُقال: وَجَبَ وَجيباً، بالباءِ الموحدةِ بدلَ الفاءِ)[٩٩]، وقيل: (الأراجيف: لاضطراب الأصوات بها)[١٠٠] وقال المبرد: (مضطربة من وجيف الحركات يقال: وجف القلب ووجب فهو يجف ويجب وجوفا ووجيفا ووجوبا ووجيبا)[١٠١]. وقوله {وَيَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ} ظرف متعلق بـ واجِفَةٌ فَآلَ إلى أنّ المقسم عليه المراد تحقيقه هو وقوع البعث بأُسلوب أوقع في نفوس السامعين المنكرين من أُسلوب التصريح بجواب القسم، إذ دلَّ على المُقسم عليه بعض أحواله التي هي من أهواله فكان في جواب القسم إنذار[١٠٢]. وجاء تقديم الظرف على متعلقه للاهتمام بالظرف في القسم والعناية به ولتأكيد متعلقات الخبر فشملة حينها عناية كبيرة في الخبر.

ومن الالفاظ الأخرى قوله:{أَبْصَارُها خَاشِعَةٌ} فالأبصار لا تخشع ولكن الله تعالى هنا أراد أنْ يخاطب الناس على ما يعرفون. والناس تعرف الخشوع بالتذلل وبما أنّ التذلل هو الانقياد لاتجاه واحد، وأنّ الابصار في يوم القيامة سوف لا تحيد عن منظر واحد فتصبح مذللة أبصارهم شاخصة فهي إذاً حالها حال الخاشعة، فكل شيء يوم القيامة منقاد لله وحده. ولا يفكر عضو بشيء دون عضو، بل الكل خاضع ذليل. وَالْخُشُوعُ حَقِيقَتُهُ: الْخُضُوعُ وَالتَّذَلُّلُ، وَهُوَ هَيْئَةٌ

لِلْإِنْسَانِ، وَوَصْفُ الْأَبْصَارِ بِهِ مَجَازٌ فِي الِانْخِفَاضِ وَالنَّظَرِ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ مِنْ شِدَّةِ الْهَلَعِ وَالْخَوْفِ مِنْ فَظِيعِ مَا تُشَاهِدُهُ مِنْ سُوءِ الْمُعَامَلَةِ قَالَ تَعَالَى: {خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ}[١٠٣]. وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ}[١٠٤]. وَإِضَافَةُ (أَبْصَارُ) إِلَى ضَمِيرِ الْقُلُوبِ لِأَدْنَى مُلَابَسَةٍ لِأَنَّ الْأَبْصَارَ لِأَصْحَابِ الْقُلُوبِ وَكِلَاهُمَا مِنْ جَوَارِحِ الْأَجْسَادِ مِثْلَ قَوْلِهِ: {إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها}[١٠٥] [١٠٦].

خطاب النكرة: لقد استعمل الله تعالى التنكير في مقام التعريف؛ ليشعر بخطابه المستمعين أنهم معنيون بالخطاب كلهم؛ لان التنكير هنا افاد التكثير وهو نكرة لإرادة النوعية وذلك في قوله تعالى(قُلُوبٌ). (وفى تنكير القلوب، إشارة إلى أنها قلوب غير تلك القلوب التي عهدها الناس، إنها هذا الإنسان المجتمع فيها بكل أعضائه وجوارحه).[١٠٧]

خطاب الاسْتِئْنَاف: قال تعالى: (يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ(١٠) أَإِذا كُنَّا عِظاماً نَخِرَةً(١١)) ومن لغة الخطاب الملفت للاستماع لفظ الفعل المضارع المستأنف به في قوله تعالى:(يَقُولُونَ). والضمير في لفظ يقولون بأسلوب الغائب ليكون الاستغراب عند السامعين شديدا ومبهما: مَن هؤلاء؟. وان لفظ الاستئناف: (يَقُولُونَ) (تعليل لواجف قلوبهم وخشوع أبصارهم يعنى يلحقهم الاضطراب والزلزلة؛ انهم ينكرون البعث ويقولون في الدنيا هذا القول {أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ} الاستفهام للإنكار يعنى كنا مردودين قرأ ابو جعفر انا بحذف همزة الاستفهام لفظا وإرادته معنى فِي الحافرة أي في الحيوة الاولى يعنى حيوة بعد الموت) [١٠٨]. وقد يكون فعل الاستئناف لينتبه السامع الى حقيقة هذا القول ما هو؟ والاستئناف هنا على لغتين: (إمّا ابتدائيّ بعد جملة القسم وجوابه، لإفادة أنّ هؤلاء هم الذين سيكونون أصحاب القلوب الواجفة والأبصار الخاشعة يوم ترجف الرّاجفة. وإمّا استئناف بيانيّ لأنّ القسم وما بعده من الوعيد يثير سؤالا في نفس السامع عن الداعي لهذا القسم فأجيب بـ{يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ}، أي منكرون البعث، ولذلك سلك في حكاية هذا القول أُسلوب الغيبة شأن المتحدث عن غير حاضر)[١٠٩]. ولفظ (يقولون) عائد إما الى المشركين وهذا واضح من سياق النص ولا يخفى على احد، واما عائدة الى المنكرين للبعث على طريقة الالتفات. وحكي هذا الخطاب بصيغة المضارع ليبين ان هؤلاء مستمرون ومتجددون في الحال والمستقبل وللإشعار بما في المضارع من استحضار حالتهم بتكرير هذا القول ليكون ذلك كناية عن التعجيب من قولهم هذا كقوله تعالى: {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِيمَ الرَّوْعُ وَجاءَتْهُ الْبُشْرى يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ}[١١٠]. وقد علم السامع أنّهم ما كرّروا هذا القول إلّا وقد قالوه فيما مضى. وهذه المقالة صادرة منهم وهم في الدنيا[١١١].

خطاب الاستفهام: قال تعالى: {أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ(١٠)أَإِذا كُنَّا عِظاماً نَخِرَةً(١١)} والاستفهام بقوله تعالى:{أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ} ورد بأشد الانكار بل إنّ بعضه ورد على سبيل الانكار والجحود كما أنه ورد أيضا على لغة الاستهزاء. والمستفاد من خطاب الاستفهام هنا اعترافهم بأسلوب الاعتراض المنكر لما يسمع من أخبار ما قد سبق من آيات جاءت بصيغة القسم وهو استفهام انكاري يشمل على التعجب[١١٢]. ومعناه:(هم الذين يقولون وقولهم (أَإِنَّا)هو على على جهة الاستخفاف والعجب والتكذيب)[١١٣] ومن عادة المشركين انكارهم للبعث بأُسلوب الاستفهام المتردد السائل لقصد التهكم والتعجب من الأمر المستفهم عنه. والمقصود: التكذيب لزعمهم أنّ حجّة استحالة البعث ناهضة. والجملة اسمية مؤكّدة بـ(إنَّ) وبلام الابتداء وتلك ثلاثة مؤكّدات مقوّية للخبر لإفادة أنّهم أتوا بما يفيد التعجب من الخبر ومن شدّة

يقين المسلمين به، فهم يتعجبون من تصديق هذا الخبر فضلا عن تحقيقه والإيقان به[١١٤]. والخطاب بجملة مؤكدة بمؤكد واحد تكفي لِأنْ يكون المخاطب منكرا، فكيف اذا كانت بأكثر من مؤكد؟ وهذا ما يدل على شدة انكارهم وتعنتهم. ولذا كان على المخاطب أنْ يجد وسيلة أخرى لإقناع المستمع بالخبر او لكي لا يبقى للمستمع عذر يوم القيامة.

خطاب الاستفهام بعد الاستفهام للتأكيد: قال تعالى: {يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً(١١)} إنّ عموم الالفاظ إذا جاءت مكررة بعضها بعد الاخرى تأتي لمعان عدة، ومن هذه الالفاظ لفظ (الاستفهام) في هاتين الآيتين. فقد جاءت هنا للإنكار بعد الإنكار للتأكيد[١١٥]، ليصبح حال القائل أشد إنكارا لحال البعث. وإنّ لفظ (إذا) في قوله تعالى:({أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً} ظرفية شرطية متعلقة بمعنى الجواب تقديره: فهل نُبْعَثُ؟[١١٦]، وهو بصورة الانكار.

خطاب الظرف وشرطه والاستفهام: قال تعالى: {أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً(١١)}: وظرف (إذَا) في قوله: إذا كنا عظاما نخرة هو تعجب، أي إذا صرنا عظاما بالية فكيف نرجع أحياء. وإذا متعلق بـ(مَرْدُودُونَ) وتأنيث نخرة لأنّ موصوفه جمع تكسير، فوصفه يجري على التأنيث في الاستعمال. وقرأ بقية العشرة أَإِذا بهمزتين إحداهما مفتوحة همزة الاستفهام والثانية مكسورة هي همزة (إذَا)[١١٧]. وهذا الاستفهام إنكاري مؤكّد للاستفهام الأول للدّلالة على أنّ هذه الحالة جديرة بزيادة إنكار الإرجاع إلى الحياة بعد الموت، فهما إنكاران لإظهار شدّة إحالته[١١٨].

الخطاب بلفظ الحافرة: ومن الالفاظ التي سيقت في القران الكريم وألفتت أذهان المستمعين لفظ (الحافرة) والتي بسببها أنكر الكافرون البعث من القبور. وهي بمعنى الاثر. وهذا من غريب الاستعمال الذي استعمله العرب في الفاظهم. والمراد بـ الحافرة: هي الحالة القديمة من الحياة. وإطلاقات الحافرة كثيرة في كلام العرب لا تتميز الحقيقة منها عن المجاز، وما روي في الكشاف:(يقال رجع فلان في حافرته؛ أي في طريقه التي جاء فيها فحفرها؛ أي أثَّر فيها بمشيه فيها جعل أثر قدميه حفرا)[١١٩]؛ أي لأنّ قدميه جعلتا فيها أثرا مثل الحفر، وأشار إلى أنّ وصف الطريق بأنّها حافرة على معنى ذات حفر ومنه قول الشاعر في شرح (أدب الكتّاب)[١٢٠]:

أَحَافِرَةً عَلَى صَلَعٍ وَشَيْبٍ ... مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارِ

ومن الأمثال قولهم: (النَّقْدُ عِنْدَ الْحَافِرَةِ)[١٢١]، أي إعطاء سبق الرهان للسابق عند وصوله إلى الأمد المعين للرهان. يريد: أرجوعا إلى الحافرة[١٢٢]. وللفراء قال: (قَالَ بعضهم: الحافرة الأرض التي تحفر فيها قبورهم فسماها: الحافرة. والمعنى: المحفورة. كما قيل: ماء دافق، يريد: مدفوق)[١٢٣]. وقال الخليل: (الْحافِرَة: الطريق الذي ذهبت فيه)[١٢٤] والمعنى: أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ إلى الحياة بعد مفارقتها بالموت ... وقيل: الأرض فاعلة بمعنى محفورة، وقيل بل هو على النسب أي ذات حفر، والمراد: القبور لأنها حفرت للموتى، فالمعنى أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ أحياء في قبورنا بعد ان كنا عظاما مرفوتة[١٢٥]. ولابن قتيبة (أي إلى أول أمرنا. يقال: رجع فلان في حافرته، وعلى حافرته. أي رجع من حيث جاء).[١٢٦]

جملة التأييس بعد الامل: قال تعالى: {قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ(١٢)} إنّ أسعد ما يجده الانسان أنْ يكون حالما بسعادة ستغمره في حياته، وترفع همه بعد مماته، وهو يرشد الناس لذلك ويدعوهم لفكرته، ولكنه يكون بأشد حسرة تلاقيه عندما يُنقَض ما كان يدعو إليه. وهذا ما خاطب الله تعالى به البشر والفتهم إلى ما لم يتوقعوه ويحسبوا له حسابا

قال تعالى:{قالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ} و(قالوا: بدل اشتمال من جملة يقولون :{أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ}. وأُعيد فعل القول لمقاصد منها: أن القول الأول قصدهم منه الإنكار، والقول الثاني قصدوا منه الاستهزاء؛ لأنّهم لا يؤمنون بتلك الكرة فوصفهم إيّاها بـ(خاسِرَةٌ)؛ أي لو حصلت كرة لكانت خاسرة. ومنها دفع توَهُّم أنْ تكون جملة {تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ} استئنافا من جانب اللّه تعالى. وعُبِّر عن قولهم هذا بصيغة الماضي دون المضارع على عكس {يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ}. و(تِلْكَ) إشارة إلى الرَّدَّة المستفادة من (مَرْدُودُونَ) والإشارة إليه باسم الإشارة للمؤنث للإخبار عنه بـ(كَرَّةٌ) و(إذن) جواب للكلام المتقدم... وقُدِّم تلك على حرف الجواب للعناية بالإشارة)[١٢٧]. وقيل: (قالُوا عطف على يقولون او حال بتقدير قد من فاعل يقولون) [١٢٨] وقيل: (جملة «قالوا» مستأنفة، و(إذًا) : حرف جواب)[١٢٩]. (والمعنى: إن كان رجوعنا إلى القيامة حقاً، فتلك الرجعة رجعة خاسرة خائبة، وهذا أفادته «إذن» فإنها حرف جواب وجزاء عند الجمهور. وقيل: قد لا تكون جواباً).[١٣٠] وللخليل قوله: (يقولون أإنا نرد فِي طريقنا الذي ذهبنا فيه فقيل نعم فقالوا {أئذا كُنَّا عظاما عظاما نخرة}فقيل نعم فقالوا{تِلْكَ إِذا كرة خاسرة})[١٣١].

<u>خطاب القصر بإنَّما وإذا الفجائية</u>: قال تعالى: {فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ(١٣) فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ(١٤)} والخطاب هنا جاء ردا على اعتراضهم وانكارهم للبعث بقولهم {أإنا لمردودون في الحافرة أإذا كنا عظاما نخرة} وهو قصر حقيقي بإنما، فاخبرهم ان شأنهم وحالهم يومئذ تكون بصيحة واحدة. وان اخراجهم الى الساهرة ما هو الا ان ينفخ بالصعق فاذا هم بالساهرة. فلا زمن بين الزجرة وكونهم حاضرين بالساهرة. لذا جاءت الفاء لبيان ما يفيده قولهم {أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ أَإِذا كُنَّا عِظاماً نَخِرَةً} من إحالتهم الحياة بعد البلى والفناء. والتقدير: فما هي إلّا زجرة واحدة فإذا أنتم حاضرون في الحشر؛ أي ما ان تحققت الزجرة كانو بتحققها في الساهرة. واختير ضمير الشأن المؤنث (هِيَ) ليحسن عوده إلى زجرة. والقصر حقيقي جاء لتأكيد الخبر بتنزيل السامع منزلة من يعتقد أنَ زجرة واحدة غير كافية في إحيائهم. وفاء {فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} عاطفة على جملة فإنّما هي زجرة واحدة و(إِذَا) للمفاجأة؛ أي الحصول دون تأخير ويفيد عدم الترتب بين الزجرة والحصول في الساهرة[١٣٢]. فاراد الله تعالى ان يرد ترددهم واستبطائهم في البعث والنشور. ومن لطيف التعبير في الاخبار في قوله تعالى: {فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} أن إذا للمفاجأة أضيفت الى جملة اسمية جعلها في قوة الفعلية معطوفا على فعلية تقديره: يقولون في الدنيا كذا فيفاجئون وقت كونهم بالساهرة. وجملة فإنما هي زجرة واحدة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لبيان كون الرجفة التي أنكروها هُوَ إِخْبَار عَن سهولة الْأَمر على الله تعالى[١٣٣].

الخطاب بلفظ الزجرة: قال تعالى: {فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ (١٣)}: وقال هنا زجرة واحدة ولم يقل قومة أو قياما؛ وذلك لأنّ الزجر لا يتحقق إلّا مع الغضب بالأمر أو النهي، فأراد الله تعالى أنْ يشعرهم بذلك. وزجر البعير إذا صاح له لينهض أو يسير، وعُبِّر بها هنا عن أمر اللّه بتكوين أجساد الناس الأموات تصويرا لما فيه من معنى التسخير لتعجيل التَّكوُّن. وقد وصفت الزجرة بالواحدة تأكيدا لمعنى الوحدة كي لا يتوهم متوهم أنّ افرادها للنوعية. وفيه مناسبة لإحياء ما كان هامدا كما يبعث البعير البارك بزجرة ينهض بها سريعا خوفا من زاجره. والخطاب هنا بلفظ الزجرة بمعنى النفخة الثانية التي

في قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ}[١٣٤] وأكدت بالواحدة لاشعار المخاطب أنها لا ثانية بعدها[١٣٥].

الخطاب بلفظ الساهرة: قال تعالى: {فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ(١٤)} ومن الألفاظ الملفتة للإنتباه في هذه الآية لفظ (الساهرة) وهو لفظ سيق للأرض وهي من الالفاظ التي جرت في اللغة توسعا في المعنى. والساهرة: هي الارض البيضاء المنبسطة التي لا تنبت، وسميت بهذا الاسم لاجتماع جموع الناس فيها، وقيل هي الارض التي يُحشر الناس اليها[١٣٦]. والساهرة: وجه الأرض، كأنها سميت بهذا الاسم؛ لأن فيها الحيوان: نومهم، وسهرهم.. عن ابن عباس أنّه قال:(السَّاهِرَةُ):الأرض[١٣٧]، وأنشد:[١٣٨]

فَفِيهَا لَحْمُ سَاهِرَةٍ وَبَحْرٍ ... وَمَا فَاهُوا بِهِ لَهُمُ مُقِيمُ

ولكن الملفت لبيان الخطاب بلفظ الساهرة أنها اشارة للأرض؛ فهي اذاً وصف، أو أنها سميت بهذا الاسم باسم من يسهر عليها ليلا ولم ينم[١٣٩]. وهذا اوقع في النفس وبخاصة لما يتصور الانسان أنّ بعد الزجرة المرعبة الشديدة يكون سهرا طويلا.

نص له حكمته في تعدد لغة الخطاب: قال تعالى: {هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى(١٥) إِذْ ناداهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً(١٦) اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى(١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى(١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلى رَبِّكَ فَتَخْشى(١٩) فَأَراهُ الْآيَةَ الْكُبْرى(٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصى(٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعى(٢٢) فَحَشَرَ فَنادى(٢٣) فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى(٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولى(٢٥) إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى(٢٦)}

ومن النصوص الملفتة للمخاطَبين هذه الآيات الكريمات من قوله تعالى:{هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى} الى قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى} فهي جملة اعتراضية بين ما دار من خطاب الله تعالى من قَسَمٍ وبيان حال المجادلين وبين ما اراده الله تعالى من إعجاز المنكرين لإعادة الخلق ومحاسبتهم على كل صغيرة وكبيرة. ودعت هذه الآيات إلى استطراده مناسبة التهديد لمنكري البعث لتماثل حال المشركين في طُغيانهم على اللّه ورسوله (ﷺ) بحال فرعون وقومه وتماثل حال الرسول (ﷺ) مع قومه بحال موسى عليه السلام مع فرعون ليحصل من ذكر قصة موسى تسلية للرسول (ﷺ) وموعظة للمشركين مثل أبي جهل وأميّة بن خلف وأضرابهما لقوله في آخرها {إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى} الله تعالى[١٤٠].

الاستفهام بـ(هل): من الخطاب النصي بلغة الاستفهام استعمال لفظة (هل) قال تعالى: {هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى} فقد جاء الاستفهام هنا صوري لتشويق المخاطب الى متابعة الاستماع حتى مجيء ما بعد الاستفهام وهو الخبر. وهذه الصيغة جاءت لاهمية الخبر عند السامع. والعرب لا تستعمل في مثله من حروف الاستفهام غير هل لأنّها تدُلُّ على طلب تحقيق المستفهم عنه، فهي في الاستفهام مثل (قَدْ) في الإخبار، والاستفهام معها حاصل بتقدير همزة استفهام، فالمستفهم بها يستفهم عن تحقيق الأمر، ومن قبيله قولهم في الاستفهام: أليس قد علمت كذا فيأتون بـ(قَدْ) مع فعل النفي المقترن باستفهام إنكار من غير أنْ يكون علم المُخاطَب مُحقَّقا عند المتكلم. والخطاب لغير معين فالكلام موعظة

ويتبعه تسلية الرسول (ﷺ) [١٤١]. والخطاب جاء بتوجيه إلى الرسول (ﷺ) بقوله: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسى؟} بالخطاب المباشر لرسول الله (ﷺ)، ولم يقل هل اتاه؛ لان الخطاب فيه تشريف للمخاطَب (وهو استفهام للتمهيد وإعداد النفس والأذن لتلقي القصة وتمليها، ثم تأخذ في عرض الحديث كما تسمى القصة. وهو إيحاء بواقعيتها فهي حديث جرى. فتبدأ بمشهد المناداة والمناجاة: { إِذْ ناداهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً})[١٤٢].

وللخطاب هنا احتمالات: قوله: {هَلْ أَتاكَ} يحتمل أنْ يكون معناه أليس قد أتاك حديث موسى هذا إنْ كان قد أتاه ذلك قبل هذا الكلام، أمّا إنْ لم يكن قد أتاه فقد يجوز أنْ يقال: هل أتاك كذا، أم أنا أخبرك به فإنّ فيه عبرة لمن يخشى.[١٤٣] والحديث فيه تسلية للرسول محمد (ﷺ) على تكذيب قومه له بان يصيبهم ما اصاب من هو اشد منهم بطشا. فاراد الله تعالى ان يقول لسيدنا محمد (ﷺ) ان حال هؤلاء لا يقل شأنا عن حال فرعون وزبانيته. وأتاكَ هنا بمعنى بلغك لان الاتيان يكون لمن يسير على قدميه او ما شابههما[١٤٤]. فيكون بمعنى: (هل بلغَكَ قصَّةُ موسى وخبرهُ، وهذا استفهامٌ بمعنى التقرير، كما يقولُ الرَّجلُ لغيرِه: هل بلغَكَ حديثُ فُلان، وهو يعلمُ أنَّهُ بلَغَهُ ذلك، ولكنْ يريدُ بهذا الكلامِ التحقيقَ. ويجوزُ أن يُراد بهذا الابتداءِ الإخبارُ، كأنه قالَ: لَمْ يكن عندَكَ – يَا مُحَمَّدُ – ولا عندَ قومِكَ ما أعلمَكَ اللهُ به من حديثِ موسى إذ أسمعَهُ اللهُ نداءَهُ)[١٤٥]. واي نداء(لحظة النداء لحظة رهيبة جليلة. وهي لحظة كذلك عجيبة. ونداء الله بذاته– سبحانه–لعبد من عباده أمر هائل. أهول مما تملك الألفاظ البشرية أن تعبر)[١٤٦](إنه أمر كريه شديد الكراهية حتى ليخاطب الله بذاته عبدا من عباده ليذهب إلى الطاغية، فيحاول رده عما هو فيه)[١٤٧]. {اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ. إِنَّهُ طَغى} ثم يعلمه الله كيف يخاطب الطاغية بأحب أسلوب وأشده جاذبية للقلوب[١٤٨]. ويجوز ان يكون(هل بمعنى ما؛ أي ما أتاك، ولكن أخبرت به، فإنّ فيه عبرة لمن يخشى)[١٤٩]. ويجوز ان يكون{هل أتاك حديث موسى} (استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع والتشريف للمخاطب به). [١٥٠] فيكون المقصود من الاستفهام التذكير لا التقرير.[١٥١] وأن (هل أتاك) دعوة ترغيبية لرسول الله (ﷺ) في استماع حديث الله تعالى وحمله على طلب الاخبار كأنه قيل هل أتاك حديث موسى قبل هذا أم أنا أخبرك به، وهذا كقول الرجل لصاحبه هل بلغك ما لقى اهلك وهو يعلم انه لم يبلغه وانما قال ليخبره به وهو استفهام تقريري له؛ أي حمله على الإقرار بأمر يعرفه قبل ذلك؛ أي: أليس قد أتاك حديثه ... يعنى قد جاءك وبلغك حديثه عن قريب كأنه لم يعلم بحديث موسى وانه لم يأته بعد والا لما كان يتحزن على اصرار الكفار على انكار البعث وعلى استهزائهم به بل يتسلى بذلك (فهل) بمعنى (قد) المقربة للحكم الى الحال، وهمزة الاستفهام قبلها محذوفة، وهى للتقرير وزِيد (ليس) لأنه اظهر دلالة على ذلك. [١٥٢]

انتظار المخاطب لبيان المستفهم عنه: بعد ان جاء السؤال التصوري فان المستمع يرتقب الجواب وبخاصة ان المستمع يريد ان يعلم عن صاحب القصة الذي كثيرا ما سمع عنه من اخبار الناس والقصاص. فجاء البيان لما أبهم من شأن القصة والذي يسميه النحويون ببدل الاشتمال، بلفظ (اذ): وإذ اسم زمان، استعمل في الماضي وهو بدل اشتمال من حديث موسى؛ لأنّ حديثه يشتمل على كلام اللّه إيّاه. وكما جاز أن تكون (إذ) بدلا من المفعول به في قوله تعالى:

{وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً}[١٥٣] يجوز أَن يكون بدلا من الفاعل وغيره. واقتصار ابن هشام على أنّها تكون مفعولا به أو بدلا من المفعول به اقتصار على أكثر موارد استعمالها إذا خرجت عن الظرفية، فقد جُوِّزَ وقوع (إذ) مبتدأ في قراءة من قرأ: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا}[١٥٤] وأضيف إذ إلى جملة ناداه ربّه والمعنى: هل أتاك خبر زمان نادى فيه موسى ربّه [١٥٥].

النداء وما يحتمله خطابه: بعد أنْ أخبر الله تعالى بخبر ما بعد (إذ) والذي كان خبرا للسؤال (هل أتاك) جاء ما يجعل المستمع اكثر اهتماما لسماع الخبر فاستُعمل لفظ (ناداه) والذي يجعل المستمع ينتظر ما نوع هذا النداء وعندها جاءت جملة {اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ} بيان لقوله ناداه ربه. ولم تنته الحيرة لدى المستمع لأنّ سبب النداء، وخطاب الأمر لم يتضح بيانهما عند المستمع حتى جاءت جملة (إِنَّهُ طَغى) لأنها تَعْلِيلٌ لِلْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ: اذْهَبْ، وَلِذَلِكَ افْتُتِحَتْ بِحَرْفِ (إِنَّ) الَّذِي هُوَ لِلِاهْتِمَامِ وَيُفِيدُ مُفَادَ التَّعْلِيلِ. [١٥٦]. ({إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} (إذ): اسم ظرفي بدل اشتمال من {حَدِيثُ}[١٥٧]. والنداء هو:(الصوت)[١٥٨]؛ (أي هل أتاك حديثه الواقع حين ناداه ربه إذ المراد خبره الحادث فلا بد له من زمان يحدث فيه لا ظرف للإتيان؛ لاختلاف وقتي الإتيان والنداء لان الإتيان لم يقع في وقت النداء) [١٥٩] .

وتعبير الخطاب يكون(يا موسى اذهب إلى فرعون إنه علا وتكبّر وكفر وتجاوز عن الحدِّ في المعصية،{فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى }؛ أي تتطهر عن الشرك وتشهد أنْ لا إله إلاّ الله، وتعمل عمل الأزكياء، وهل لك رغبةٌ في أنْ،{أَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ}؛ أي إلى معرفة ربك وعبادته وتوحيده ومعرفة صفاته).[١٦٠] وهذا مصداق لقول ابن عباس: يا رجل اذهب إلى فرعون[١٦١].

واما قوله: {اذهب}: فـ(يجوز أنْ يكون تفسيرا للنداء. ويجوز أن يكون على إضمار القول. وقيل: هو على حَذْفِ(أَنْ)؛ أي: أَنْ اذهَبْ. ويَدُلُّ له قراءةُ عبد الله بن مسعود: (أَنْ اذْهَبْ) (لأنَ في النداء معنى القول)[١٦٢].و(أَنْ) هذه الظاهرةُ أو المقدرةُ يُحتمل أنْ تكون تفسيرية، وأنْ تكون مصدرية؛ أي: ناداه بكذا).[١٦٣]

خطاب فرعون بصيغة النداء: نعلم أن النداء هو الجهر بالصوت للمنادى ليقبل، والنداء بمعنى: أدعو. وأسند النِّدَاء هنا إلى فرعون مجازا عقليا لأنّه لا يُباشر بنفسه حشر الناس ولا نِداءهم ولكن يأمر أتباعه وجنده، وإنّما أُسند إليه لأنّه الذي أمر به كقولهم: بنى المنصور بغداد. والقول الّذي نادى به هو تذكير قومه بمعتقدهم فيه فإنّهم كانوا يعتبرون مَلِكَ مصر إلها لأنّ الكهنة يخبرونهم بأنّه ابنُ(آمُونَ رَعِ) الذي يجعلونه إلها وَمَظْهَرُهُ الشَّمْس. وصيغة الحصر في أنا ربكم لِردّ دعوة موسى.[١٦٤]

النصيحة بلفظ (فقل) بأسلوب اللين: بعد أن انتهى خطاب الامر(اذهب) المشار به إلى موسى (عليه السلام) المرسل به إلى فرعون الطاغية بقي المستمع يريد أنْ يعرف لأي شيء مقصد الذهاب؟ وهنا جاء البيان أنْ قل برفق ولين لفرعون:{هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلى رَبِّكَ} وهذا عرض وترغيب لفرعون وذلك كما في قوله تعالى: {فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى}[١٦٥] اذهب الى فرعون وعلة الذهاب هو الطغيان. وحاجة الطغاة الهداية[١٦٦]. ثم أنه تعالى أمر موسى عليه السلام بأنْ يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض؛ ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من

عتوه وهذا تفصيل لقوله تعالى: {فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}[١٦٧] أما كونه لينا فلأنّه في صورة العرض لا في صورة الأمر.[١٦٨]

إيجاز صور الخطاب: قال تعالى:{هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} إنّ من أروع البيان أنْ تجد آية جامعة بإيجاز غير مخل ولا إطناب ممل. ومن هذا البيان قوله تعالى:{هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} فقد جمعت بين الاستفهام وبعض معانيه وبين خطاب اللين المباشر والعطف بين المستفهمات وبين خبر الاستفهام المرتقب عند المخاطَب. ومن ذلك قوله(هَلْ لَكَ) فانه(تركيب جرى مجرى المَثل؛ لأنّه قُصِدَ به الإيجاز يقال: هَلْ لَكَ إِلَى كَذَا؟ وَهَلْ لَكَ فِي كَذَا؟ وهو كلام يقصد منه العرض بقول الرجل لضيفه: هل لك أنْ تَنزل؟ ومنه قول الشاعر:

أَلَا بَلِّغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً ... فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتُ وَيْحَكَ هَلْ لَكَا[١٦٩]

ولك خَبرُ مبتدأ محذوف تقديره: هل لك رغبة في كذا؟ فحذف (رغبة) واكتفي بدلالة حرف (في) عليه، وقالوا: هل لك إلى كذا؟ على تقدير: هل لك ميل؟ فَحُذِفَ (مَيْلٌ) لدلالة (إلى) عليه[١٧٠].(ويحتمل أَنْ يكون التقدير: هل لك سبيل إلى أَنْ تزكَّى. و(قَوْلُهُ تَعَالَى:{إِلَى أَنْ تَزَكَّى}: لما كان المعنى أدعوك جاء بِإِلى)[١٧١]. وذكر ابن جني(ت٣٩٢هـ) أنّه متى كان فعل من الأفعال في معنى فعل آخر فكثيرا ما يُجرى أحدهما مجرى صاحبه فَيُعَوَّل به في الاستعمال إليه (كَذَا) ويُحتذى به في تَصَرُّفه حَذْوَ صاحبه وإنْ كان طريق الاستعمال والعرْف ضدّه مأخذه، ألا ترى إلى قوله تعالى:(هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى) وأنت إنّما تقول: هل لك في كذا؟ لكنّه لَمَا دخله معنى: آخُذ بك إلى كذا أو أدعوك إليه، قال: هل لك إلى أَنْ تَزكّى وقوله تعالى: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ}[١٧٢]لا يُقال: رَفَثْتُ إِلَى الْمَرْأَةِ، إِنَّمَا يُقَال: رفثت بها، ومعها، لكن لَمّا كان الرَّفَث في معنى الإفضاء عُدِّي بـ(إلى) وهذا من أسَدّ مذاهبِ العربية، لأنّه موضع يملك فيه المعنى عِنَانَ الكلام فيأخُذُه إليه[١٧٣]. وقد حثه الى التخلص من النفس الخبيثة الى عمل الخير وبهذا يكون استعمال فعل المطاوعة يُؤذن بفعل فاعل يعالج نفسه ويروِّضها. ولذلك أعقبه بعطف وأهديك إلى ربّك فتخشى، فكان ترتيب الجمل في الذكر مراعى فيه تَرتُّبُها في الحصول فلذلك لم يحتج إلى عطفه بالفاء؛ لأنّ العطف بالواو تفيد الترتيب، ويُستغنى بالعطف عن ذكر حرف التفسير في العطف التفسيري الذي يكون الواو فيه بمعنى (أي) التفسيرية فإنّ أنْ تزكّى وأهديك في قوّة المفرد. والتقدير: هل لك في التّزكية وهدايتي إيّاك فخشيتك اللّه تعالى... وعطف فتخشى على أهديك إشارة إلى أنّ خشية اللّه لا تكون إلّا بالمعرفة قال تعالى:{إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ}[١٧٤]، أي العلماء به، أي يخشاه خشية كاملة لا خطأ فيها ولا تقصير. وفي الاقتصار على ذكر الخشية إيجاز بليغ لأنّ الخشية ملاك كلّ خير[١٧٥]. ومثل لفظ الخشية لفظ التزكي فهي جامعة لجميع معاني زكاء النفس وطهارتها التي بها تحصل الخشية ثم تحصل الهداية الى ربك عز وجل. وبما أنّ الفاء سببية فإنّ الخشية مسبب للمعرفة والمعرفة مسبب للهداية[١٧٦]. وجاء الخطاب من النبي موسى (عليه السلام) بصيغة السؤال لا الأمر أو النهي كي لا ينفر فرعون من أول خطاب فقال: هل لك أنّ تستمع إلى أنْ تطمئن نفسك ثم أبصرك بربك. وقال له أهديك إلى ربك ولم يقل أهديك إلى إلهك لأنّ فرعون لا يرى في الوجود إلها غيره، لذا استعمل موسى (عليه السلام) الخطاب الذي لا يُنَفِّر فرعون في بادئ الأمر، ولم يعرض موسى (عليه السلام) الآية الكبرى إلّا حينما أحس من فرعون العناد والتعالي والتكذيب لذا قال له: {قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ}[١٧٧]، عندها أراه الآية الكبرى.

الخطاب بلفظ (ربك) دون غيرها لإطالة الحوار: قال تعالى{وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} حينما خاطب موسى عليه السلام فرعون في بادي الامر لم يذكر اله فرعون بسوء وإنما استعمل لفظ(ربك) ليحصل موسى عليه السلام على المراد وهو ابقاء فرعون يستمع النصيحة حتى النهاية؛ ولان فرعون لا يعرف الهًا غير نفسه فاستعمل موسى (عليه السلام) لفظة الرب مخاطبا فرعون بكاف الخطاب، وكل هذا اطماع من موسى (عليه السلام) أن يهتدي فرعون بالأسلوب الخطابي الامثل(١٧٨).

استعمال ادوات العطف لبيان حال المخاطب: قال تعالى:{فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى(٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى(٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى(٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى(٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى(٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى(٢٦)} ولبيان حال المخاطب جاءت ادوات العطف بعد فاء البيان مشعرة بتكبر المخاطَب على تقدير: فذهب فدعاه فكذَّبه فأراه الآية الكبرى؛ لأنَّ قوله: (إِنَّهُ طَغَى) مشعر بان فرعون لن يؤمن وسوف يستقبل دعوة موسى (عليه السلام) بالإنكار والطغيان فجاء حينها لفظ الفاء المعجلة والمؤذنة لموسى (عليه السلام) بعرض الآية الكبرى(١٧٩) كما في قوله تعالى:(قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ)(١٨٠). فقوله تعالى:{فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى(٢٠)} فيه أنّ(الفاء في فأراه معطوف على محذوف معلوم، يعني فذهب فأراه، كقوله:{فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ}(١٨١)أي فضرب فانفجرت)(١٨٢)، فينبغي أنْ يكون هو المراد على ما تقتضيه الفاء التعقيبية فكذَّب فرعون بموسى وسمى معجزته سحرا من غير روّية وتأمل، وطلب شاهدا لاستكباره وتمرده وعصى الله بالتمرد بعد ما علم صحة الأمر؛ حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين رأسا فدل العطف على أنّ الذي ترتب على إراءة الآية الكبرى هو التكذيب الذي يكون عصيانا لله(١٨٣). وجاءت الفاء هنا أيضا(تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها في السور الاخرى فإنّه جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات إلى أنْ قال {قَالَ إِنْ كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ}(١٨٤)) (١٨٥)، وجملة «فأراه» مستأنفة(١٨٦). (وَأُعْقِبَ فعلُ (فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى) بفعل (فَكَذَّبَ) للدّلالة على شدّة عِناده ومكابرته حتَّى أَنَّه رأَى الآية فلم يتردَّد ولم يتمهَّل حتَّى ينظر في الدَّلالَة، بل بادر إلى التَّكذيب والعصيان. والفاء في قوله تعالى:{فَكَذَّبَ وَعَصَى(٢١)} (تدلّ على أن الثاني بعد الأول، والواو للاجتماع)(١٨٧).

وعَطْفُ {ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى} بـ(ثُمَّ) للدّلالة على التراخي، فأفادت أنّ مضمون الجملة المعطوفة بها أعلى رتبة في الغرض الذي تضمّنته الجملة قبلها، أي أنّه ارتقى من التكذيب والعصيان إلى ما هو أشدّ وهو الإدبار والسعي وادِّعاء الإلهيّة لنفسه، أي بعد أنْ فكّر مليّا لم يقتنع بالتكذيب والعصيان فخشي أنّه إنْ سكت ربّما تُرَوِّج دعوة موسى بين الناس فأراد الحيطة لدفعها وتحذير الناس منها)(١٨٨)، فلم يأت منه الانقياد والإذعان لذلك قال تعالى: {فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ}؛ أي تولى عن الطاعة فجمع بين الفاء، والواو؛ لأنّهما صارا في مرتبة واحدة إذ إنّ التكذيب بحد ذاته عصيان. وكلمه (ثم) على هذا معناها التراخي لزمن تفكير فرعون وسعيه إذ السعي في إبطال أمره يقتضى مهلة(١٨٩).

ثم جاء لفظ المتكبر بنفسه المبهم للمخاطَبين{فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} والخطاب لا لبني إسرائيل فقط، بل لكل من حَوْلَ فرعون وهو لفظ المتكبر الاناني (انا) وكذلك قوله (ربكم) اي رب كل من حوله؛ إذ إنّ كاف الخطاب هنا جاء للجمع الموجود الذين حشرهم لينادِيهم بهذا الخطاب. والافعال (فَحَشَرَ فَنادى فَقَالَ) كلها معطوفة على لفظ (يسعى)

في قوله تعالى:(فَحَشَرَ فَنادى فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى) ففعل (حشر) جاء لأنّ فرعون ترك ذلك الجمع بأن قام معرضا إعلانا بغضبه على موسى و(يسعى) استعمل فِي حقيقته، حيث قام يشتدُّ في مشيه وهي مشية الغاضب المعرض. وعطف فنادى ايضا على (يسعى) بالفاء لإفادة أَنَّه أَعلن هذا الْقَوْلَ لهم فور حضورهم لفرط حرصه على إبلاغ ذلك إليهم. وأما لفظ (فقال) فهي بدل من لفظ نادى لأنهما متطابقان، وقيل عطف بيان على (نادى). والفاء تفسيرية جاءت لتأكيدا العطف على ما سبق. ولأنه لا يرى احدا فوقه قال أنا ربكم الاعلى. فهناك ارباب ولكنه هو الأعلى. وقوله تعالى: {فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولى} بعد جمع ما تحقق بحرف الفاء جاء العطف بالفاء ايضا مشعرا مشركي مكة أنّ من كانت هذه حاله كفرعون فإنّ أخذه لا محالة يكون مثله فهنا جاء السياق موعظة للمشركين وهو تسلية وطمأنينة للنبي (ﷺ) وتثبيته. واما حرف الواو من قوله تعالى: {الْآخِرَةِ وَالْأُولى} جاء لعطف المتغايرين وجمعهما على حال واحدة[١٩٠].

استعمال لفظ النكال: قال تعالى:{فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولى(٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى (٢٦)} ومن الالفاظ التي سيقت لعبرة فيها للمخاطبين لفظ (النكال) والنَّكال: اسم مصدر نكَّل به تنكيلا وهو مثل: السلام، بمعنى التَّسليم[١٩١]. وَالنَّكَال: هو إِيقاع أَذًى شَدِيدٍ على الغير، أَي يَرُدُّ وَيَصْرِف مَن يُشاهده عن أَنْ يأتي بمثل ما عومل به المنكَّل به، فهو مشتق من النكول وهو النكوص والهروب، قال تعالى:{فَجَعَلْناها نَكالًا لِما بَيْنَ يَدَيْها وَما خَلْفَها}[١٩٢]. وانتصب نَكال على المفعوليَّة لفعل (أَخذه) مبيّن لنوع الأَخذ؛ لأَنَّ الأَخذ يقع بأَحوال كثيرة. وإضافة نكال إلى الآخرة والأُولى على معنى (فِي).فالنَّكال في الأُولى هو الغرق، والنَّكال في الآخرة هو عذاب جهنَّم[١٩٣].

استعمال الماضي بصيغة المستقبل: قال تعالى:{فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥)إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى(٢٦)} ومن الالفاظ التي يتحقق فيها الماضي والمضارع لفظ (أخذ) والتي خاطب بها بصيغة الاخبار فقد ورد فعل(اخذه) بصيغة المُضِيِّ مع أَنَّ عذاب الآخرة مُسْتَقْبَلٌ ليوم الجزاء لا يقع الا في المستقبل ولكن الله تعالى حين يميت الانسان تبدأ ساعة حسابه فيذوق العذاب حين يرى منزلته من الاخرة الَّتي سيؤُول إليها يوم الجزاء كما قال (ﷺ) لمسيلمة لمَّا أَبى الإيمان: (وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّه)[١٩٤] [١٩٥].

تقديم الآخرة على الأولى: قال تعالى:{فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى(٢٥)} وللخطاب في مجال التقديم والتأخير دلالته للمخاطَبين في بيان من يُخْبَرُ عنه، ومن ذلك تَقْدِيمُ الْآخِرَةِ عَلَى الْأُولى فِي هذه السورة لعظم أَمر الآخرة التي هي الحياة الابدية لا ما يعتقده بعض الناس ويعظمون دنياهم على اخراهم وهي دعوة وموعظة من الله تعالى للناس أنْ يجعلوا الدنيا دار عمل وجهد للآخرة التي هي دار بقاء وسعادة وخلود[١٩٦]. وجاء في آخِرِ الْقِصَّةِ (إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى) فَهُوَ بيان لِمَضْمُونِ قوله تعالى {هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى}. و(تأكيد الخبر بـ(إنّ ولام الابتداء) لتنزيل السامعين الذين سيقت لهم القصة منزلة مَن يُنكر ما فيها من المواعظ؛ لعدم جريهم على الاعتبار والاتِّعاظ بما فيها من المواعظ).[١٩٧]

الخطاب باسم الاشارة: والخطاب بلفظ (ذلك) من قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ}. إشارة إلى أنّ مشركي مكة سيصيبهم ما أصاب فرعون وهو تعريض بهم لأنّهم لم ينتفعوا مما جاء به (ﷺ) ولم يأخذوا العبرة ممن سبقهم من حال فرعون وأمثاله حين أصابهم العذاب وهم يعلمون بذلك [١٩٨].

خطاب الاستفهام بالهمزة: قال تعالى: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا(٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا(٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا(٢٩)} وهنا يأتي الخطاب بصيغة السؤال ولكن لا يراد منه الجواب لأنّ السؤال هنا هو رد على ما سبق من استهزاء وتهكم وسخرية وتكذيب المشركين لِما جاء به (ﷺ). فهم قالوا { أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ } فهم قد كذبوا بالبعث لإنكارهم إنشاء الاجساد بعد العدم، بعد أنْ أصبحت الاجساد بالية. قال تعالى: { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)}[١٩٩] اذاً جاء السؤال هنا ردا وابطالا لقول المشركين، وهو تهديد لهم لتكذيبهم الرسول (ﷺ) بقولهم: {أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ} فهم قد نفوا البعث وانكروا خلق الاجساد بعد العدم بهذا السؤال فقِيل لهم بإشارة الضمير {أَأَنْتُمْ} من قوله {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ}، فالخطاب مُوجّه إلى المشركين الذين عُبّر عنهم آنفًا بضمائر الغيبة من قوله: يقولون إلى قوله: {فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ}، وهو التفات من الغيبة إلى الخطاب[٢٠٠]. ومع ان الجملة مستأنفة جديدة إلّا أنّ فيها إشارة جواب لما حكوه بقولهم{أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ} فكانت إشارة الجواب{أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا}؟ (فالجملة مُستأنفة لقصد الجواب عن شبهتهم لأنّ حكاية شبهتهم بـ: يقولون أإنّا إلى آخره، تقتضي ترقّب جواب عن ذلك القول كما تقدّم الإيماء إليه عند قوله: {يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ})[٢٠١]. والاستفهام هنا جاء لأقناع المشركين واقرارهم على ما اعتادوه في أنفسهم لذا جاء الاستفهام هنا تقريريا (والمقصود من التقرير إلجاؤُهم إلى الإقرار بأنّ خلق السماء أعظم من خلقهم؛ أي أنّ إعادة خلق الأجساد بعد فنائها مقدورة للّه تعالى لأنّه قدر على ما هو أعظم من ذلك قال تعالى: (لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[٢٠٢]. لذا جاء الخطاب هنا بمَعْنَى التَّقْرِيعُ وَالتَّوْبِيخُ [٢٠٣]

وأنّ (أم) هذه: "متصلة" لاتصال ما بعدها بما قبلها وكَوْنِه كلاما واحدًا؛ أي الذي عنده في أحدهما مثلُ الذي عنده في الآخر. وهذا ما جاء في قوله تعالى: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا}، فهذا على التقدير والتوضيح. فهو من الناس استفهام، ومن الله سبحانه توقيفٌ وتوبيخٌ للمشركين خرج مخرجَ الاستفهام، ولا خيرَ في واحد منهم، إنما هو على ادّعائهم أن هناك خيرًا، فقُرّعوا بهذا على هذه الطريقة[٢٠٤].ولا تُعادَل أم هذه إلَّا بالهمزة؛ لذا جاءت واضحة في قوله تعالى:{أَأَنْتُمْ}. وينبغي أن يجتمع في "أمْ" هذه ثلاثُ شرائط حتى تكون متصلة. أحدها: أن تُعادِل همزةَ الاستفهام، والثاني: أن يكون السائل عنده علمُ أحدهما، والثالث: أن لا يكون بعدها جملة من مبتدأ وخبر، نحوُ قولك: "أزيدٌ عندك أم عمرو عندك"؟.[٢٠٥]

اجمال بعده تفصيل لزيادة التَّصْوير : فقد جاءت جملة {رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا(٢٨)} مبنيَّة لجملة بناها أو بدل اشتمال منها وجاء الإجمال ثمّ التفصيل لزيادة التصوير؛ اذ لولا هذا التفصيل لما اتضحت صورة البناء.[٢٠٦] وَالسَّمْكُ: بفتح

السين وسكون الميم: الرَّفْعُ في الفضاء...سواء اتصل المرفوع بالأرض أو لم يتصل بها وهو مصدر سَمَك.[٢٠٧](والرَّفْعُ: جَعل جسم معتليا وهو مرادف للسّمك فتعدية فعل رفع إلى «السّمك» للمبالغة في الرَّفع، أي رفع رفعها أي جعله رفيعا، وهو من قبيل قولهم: لَيْلٌ أَلْيَلُ، وَشِعْرٌ شَاعِرٌ، وَظَلٌّ ظَلِيلٌ. ومنه أيضا جملة {أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَمَرْعاها} بدل اشتمال من جملة دحاها؛ لأنّ المقصد من دحوها بمقتضى ما يُكمّل تيسير الانتفاع بها. ولا يصح جعل جملة أخرج منها ماءها إلى آخرها بيانا لجملة دحاها لاختلاف معنى الفعلين. وقيل إن جملة اخرج معطوفة على لفظ الأرض اذ هو نظيره له[٢٠٨]. ومن لطيف قول الزمخشري: (فإنْ قلت: فهلّا أدخل حرف العطف على أخرج؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون معنى دحاها: بسطها ومهَّدها للسُكنى، ثم فسر التمهيد بما لا بُدّ منه في تأتي سكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب وإمكان القرار عليها. والثاني: أنْ يكون أخرج حالا بإضمار قد، كقوله:(أَوْ جاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ)[٢٠٩]. وإضمار قد قول للبصريين ومذهب الكوفيين، والأخفش: أنّ الماضي يقع حالا، ولا يحتاج إلى إضمار قد، وهو الصحيح. ففي كلام العرب وقع ذلك كثيرا)[٢١٠].

<u>استعمال ادوات العطف</u>: من المعلوم عند اهل النحو ان حرف الفاء يستعمل في حالة التعقيب المباشر؛ أي أنْ يتصل المعطوف بالمعطوف عليه مباشرة ولا يكون بينهما فاصل أو فترة يستدرك فيها لعطف المعطوف على المعطوف عليه وأمّا حرف الفاء فإنّه يستعمل بين المتعاطفين المختلفين. وقد يكون لجمع الاشياء المتعاطفة المتغايرة وقد يأتي للترتيب ايضا. اما حرف ثم فإنّه يأتي لإيصال المعطوف بالمعطوف عليه ولكن لا يعرف زمنه الذي يتصل به المعطوف بالمعطوف عليه؛ لذا كان مجيء الفاء في قوله تعالى: {رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها} للتعقيب المباشر، وتسوية السماء حصلت مع حصول سمكها، فالتعقيب فيه مثل التعقيب في قوله: {فَنادى فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى}. وهذا الخطاب مما يلفت المستمع في استعمال الادوات النحوية كل في محله. ومنه أنّ الله تعالى استعمل الواو في قوله: {وَأَغْطَشَ لَيْلَها وَأَخْرَجَ ضُحاهَا}؛ لإعلام المستمع أنّ الإغطاش والاخراج والأرض والماء والمرعى والجبال خلقها الله تعالى كلا على فترة متفاوتة في الزمن، وأنّ جملة (وَأَغْطَشَ لَيْلَها) معطوفة على جملة (بَناها) وليست معطوفة على (رَفَعَ سَمْكَها)؛ لأنّ إغطاش وإخراج الضُحى ليس ممّا يُبيَّن به البناء. والإغْطَاشُ: جَعلُه غَاطِشا، أي ظلاما يُقال: غَطَشَ اللَّيْلُ من باب ضَرَب، أي أظلم. والمعنى: أنّه خص الليل بالظلمة وجعله ظلاما، أي جعل ليلها ظلاما[٢١١].

<u>تقديم وتأخير في الخطاب</u>: قال تعالى:(وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا(٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا(٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا(٣٢))؛ وقدم لفظ الارض؛ للاهتمام فقُدِّم اسم الأرض على فعله وفاعله فانتصب على طريقة الاشتغال، والاشتغال يتضمن تأكيدا باعتبار الفعل المقدر العامل في المشتغل عنه الدالّ عليه الفعل الظاهر المشتغل بضمير الاسم المقدم)، ومثله تقديم لفظ الجبال على ارساها لما في الجبال من اهمية. واما اخراج الماء والمرعى من الأرض فقد بقيت الجملة كما هي من غير تقديم ولا تأخير؛ لأنه لا يتحقق إخراج المرعى إلّا إذا تحقق وجود الماء قبله[٢١٢].

<u>الخطاب باسم الاشارة الزمنية</u>: قال تعالى: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}: فالإشارة هنا اشارة للبعد الخلقي بين رفع السماء وتسويتها واغطاش اليل واخراج الضحى وبين دحي الارض فهي اشارة للفترة الزمنية المنقطعة لإشعار المخاطب بأنّ الله

تعالى خلق بعض الخلائق متصلة وبعضها متفرقة بين فترات زمنية. فإنّ الإشارة في قوله تعالى:{بَعْدَ ذلِكَ}إشارة إلى أنّ الله تعالى خلق السماء بعد خلق الارض مدحوّة[٢١٣].

استعمال حرف اللام للتقوية: قال تعالى:{مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ (٣٣)} وقد أشار الله تعالى إلى النعمة التي أنعمها على خلقه بلفظ (متاعا) مقويا ذلك التذكير بحرف اللام في قوله {لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ}فإنّ اللام هنا لام التقوية، وهو راجع إلى خلق الأرض والجبال، وأمّا الجبال فلأنّ فيها مراعي أنعامهم تكون في الجبال مأمونة من الغارة عليها؛لذا كان من الضرورة بأنْ يعبدوا المنعم وحده ولا يشركوا بعبادته غيره. وانتُصب متاعا على النيابة عن الفعل. والتقدير: متعناكم متاعا[٢١٤].

استعمال لفظ (فاذا) مبتدأ بها: قال تعالى: {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى(٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى(٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى(٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى(٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى(٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى(٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى(٤١)} جاء هنا استعمال (فاذا) التي تجعل المخاطَب ينتبه الى ما بعدها وتجعله يتساءل عما سياتي بعدها. والفاء هنا سببية، وهو(للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع والمعنى فاذا جاء وقت طلوع وقوع الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات والدواهي أي تعلوها وتغلبها فوصفها بالكبرى يكون للتأكيد ولو فسر بما تعلو على الخلائق وتغلبهم كان مخصصا والمراد القيامة او النفخة الثانية)[٢١٥]. وإذا الشرطية تجعل المستمع يطلب البيان لما بعدها لان الخطاب غير مكتمل {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى} فان المستمع سيتساءل إذا جاءت الطامة فماذا سيحدث؟ وأي طامة؟ إنّها الكبرى. وسميت بالكبرى لهول ما سيحدث فيها. فليس هناك اكبر منها في ذلك الموقف الرهيب. عندها سيتذكر الانسان كل ما نسيه او تناساه من قول وعمل ومن تكذيب واستهزاء.

ومن المعلوم أن (إذا) ظرف للمستقبل، فإذا وقع بعد الفعل الماضي صُرف إلى الاستقبال، وإنّما يُؤتى بعد(إذا) بالفعل الماضي لزيادة تحقيق ما يُفِيده (إذا) في ذهن المخاطب من زيادة الوثوق من وقوع الطامة[٢١٦]. وان جواب لفظ (إذا) في قوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى} فيه أوجه: أحدها: جوابه قوله تعالى: {فَأَمَّا مَن طغى}، نحو قولهم: إذا جاءك بنوك، فأما العاصي فحاسبه، وأمّا الطائع فأكرمه. وقيل: إنه محذوف. فقدَّرهُ الزمخشريُّ: فإن الأمر كذلك، أي: فإنَّ الجحيمَ مأواهُ. وقدَّره غيرهُ: انقسم الرَّاءون قسمين. وقيل: عاينُوا أو علموا. وقيل: جوابها أُدخل أهل النار النار، وأهل الجنة الجنة. وقال أبو البقاء: العامل فيها جوابها، وهو معنى قوله تعالى: {يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ}. [٢١٧] وكل هذا مما يستدعي المخاطَب الى النظر والتأمل في آيات الله تعالى والتدبر فيها، وهو من التوسع في المعنى.

وأما قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى} فإنّ الفاء رابطة لجواب الشرط، و(أما): حرف شرط وتفصيل، وهو مما ينبئ عند المخاطب الانتباه ثم الانتظار لما سياتي من تفصيل لما بعد هذا الحرف و(مَنْ): اسم موصول مبتدأ، وليست (مَنْ) شرطية لأن الشرط لا يدخل على الشرط، وان الاسم الموصول لا يتضح معناه عند السامع حتى تأتي صلته وهذا ايضا مما يدع المخاطب متحيرا حتى يأتي ما يوضح المبهم ويزيل المشكل[٢١٨]. وبما أن حرف التعريف مغني عن الضمير في نحو: مررت برجل فأكرمت الرجل، جاز أن يغني عنه في غير ذلك لاستوائهما في تعيين الأول، ولذلك لم يختلف في

جواز مررت برجل حسنٍ وجهُ أبيه، واختلف في جواز نحو: مررت برجل حسنٍ وجهُ أب، إذ ليس فيه ضمير ولا حرف تعريف، والمنع به أولى، وهو مذهب سيبويه.[٢١٩]

ومن ورود الألف واللام عوضا من الضمير قوله تعالى:{ فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} فهو على تقدير: فإن الجحيمَ هي مأواه، وكذا في: فإن الجنة هي مأواه. ومن هذا تقول: (مررت بالرجل الحسنِ الوجهُ) برفع (الوجه)، وفيه نظر لخُلُوّه من العائد، وهذه الصفاتُ إنّما عملُها في ضمير الموصوف، أو فيما كان من سببه، وجوازُه عند الكوفيين على تنزيل الألف واللام منزلةَ الضمير، فيكون قولهم: "الحسن الوجهُ" بمنزلةِ "الحسن وجهُه". ويتأوّلون قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} على أن المراد: مأواه، والذي عليه الأكثرُ أنَّه على حذف العائد للعلم بموضعه. والمراد:(مررت بالرجل الحسن الوجهُ منه)،وكذلك الآيةُ، أي:(المأوى له)، والعائدُ قد يحذف تخفيفًا للعلم به[٢٢٠].

<u>خطاب التهديد لما نساه الانسان</u>: ومن خطاب التهديد للإنسان أنّ الانسان بطبعه ينسى كثيرا مما عمل في سابق أيامه ولكن الله تعالى أحصى كل شيء. ولَمّا تأتي الطامة الكبرى لا يتذكر الإنسان من أعماله شيئا لأنّه إذا جاءت الطامة الكبرى غطت على كل شيء، وطمت على كل شيء.[٢٢١] حتى تنسيه ما عمل وأنّ قوله تعالى: {يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ مَا سَعى} (بدل من جملة {إِذا جاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرى} بدل اشتمال لأنّ ما أُضيف إليه يوم هو من الأحوال التي يشتمل عليها زمنُ مجيء الطّامّة وهو يوم الحساب. وتذكُّرُ الإنسان ما سعاه: أنْ يوقف على أعماله في كتابه لأنّ التَّذكُّر مطاوع ذَكَّره. والتَّذكُّر يقتضي سبق النسيان. والمعنى: يوم يُذكَّر الإنسان فيتذكّر، أي يُعرض عليه عمله فيعترف به إذ ليس المقصود من التَّذكّر إلّا أثَرُه، وهو الجزاء فكُنِّي بالتَّذكّر عن الجزاء قال تعالى:{اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً}[٢٢٢]) [٢٢٣]. وأنّ من أشد ما يهدده الإنسان هو ما نساه من الاخطاء المشينة ثم يذكره الله بها من يريد محاسبته.

<u>الخطاب بالفعل المضعف</u>: من الملفت في لغة الاعراب أنّ لتشديد الحرف خطابا أوقع في النفوس بمكانه أشدّ من التخفيف، ومن ذلك لفظ: (بُرِّزَتِ) وإباز الشئ إظهاره. وجيء بالفعل المضعف اليبين حالة الترهيب في نفوس الناظرين. ولفظ (وَبُرِّزَتِ) فعل مبني للمجهول وبني للإعلام بوقوع إبرازها. وعطف على يتذكر؛ لإشعار الناظر عند رؤيته لجهنم بارزة حينها يتذكر كل شيء[٢٢٤]. و(يشدد التعبير في اللفظ «بُرِّزَتِ» تشديدا للمعنى والجرس، ودفعا بالمشهد إلى كل عين!).[٢٢٥]

<u>الرؤيا يوم القيام</u>: ومن توسع المعنى في الخطاب القرآني لفظ (لِمَنْ يَرى)؛ أَيْ يراها كل راء، فهو مُنَزّل بمنزلة اللازم؛ أي يراه كل مبصر[٢٢٦].

وقيل إنّه لمن تراه والخطاب للنبي (ﷺ) اي لمن يراه من الناس [٢٢٧]. (وقيل لمن تراه الجحيم)[٢٢٨]. وهذا على قراءة من قرأ بالتاء {لمن ترى} وهي قراءة عكرمة وأبي مجلز، وابن السميفع. وقرأ ابن مسعود وابن عباس، ومعاذ القارئ {لمن رأى} بهمزة بين الراء والألف.[٢٢٩](وقيل: لمن يرى هو الكافر. وقرأ بذلك كل من عائشة وزيد بن عليّ

وعكرمة ومالك بن دينار: مبنيا للفاعل مخففا وبتاء، يجوز أنْ يكون خطابا للرسول (ﷺ)، أي لمن ترى من أهلها، وأن يكون إخبار عن الجحيم، فهي تاء التأنيث. قال تعالى:{إذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ}[٢٣٠]) [٢٣١].

استعمال (أما) التي للتفصيل: قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى(٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى(٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى(٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى(٤١)} قبل بيان لغة (أما) لا بد من الإشارة إلى حرف الفاء من قوله(فأما) إنّه رابط (لجواب (إذَا) لأنّ جملة مَنْ طَغى إلى آخرها جملة اسمية ليس فيها فعل يتعلق به إذَا فلم يكن بين (إذَا) وبين جوابها ارتباط لفظي فلذلك تجلب الفاء لربط الجواب في ظاهر اللفظ، وأمّا في المعنى فيُعلَم أنّ (إذَا) ظرف يتعلق بمعنى الاستقرار الذي بين المبتدأ والخبر[٢٣٢].

وأما لفظ(أمَّا) فهو حرف تفصيل وشرط لأنّها في معنى: مهما يكن شيء[٢٣٣]، والاشارة هنا لتنبيه المخاطب بلغة التفصيل التي تجعل الكلام غير تام من غير أن يأتي الجواب، وإنّما تشعر السامع بان وراء هذا الحرف تفصيل لكلام لم يسمعه المخاطب. فضلا لما تحمله أما من شرط تجعل المخاطَب منتبها لتلقي ما بعدها؛ لأنها بمعنى: مهما يكن شيء؛ لذا تأتي بعدها فاء جواب الشرط. ولما كان شأن المشركين التكذيب لما جاء به النبي(ﷺ)، تَطَلَّب عند ذلك مجيء الجملة الاسمية. مؤكدة بـ(إنّ) في قوله تعالى: {فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى}.

ومثله قوله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى(٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى(٤١)}. ({فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}الجملة خبر(مَنْ)،والفاء رابطة، و(هي) للفصل، والرابط مقدر ومثله قوله تعالى:{فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى}. واللام في المأوى يدل على المضاف اليه عند الكوفيين أي مأواه[٢٣٤]؛ وفي رواية: هي المأوى له، والألف واللام عوض عن المضاف إليه...ولا بد من أحد هذين التأويلين في الآية؛ لأجل العائد من الجملة الواقعة خبراً عن المبتدأ الذي هو (من طغى)، وحسن عدم ذكر ذلك العائد كون الكلمة وقعت فاصلة ورأس آية، والمعنى أنها منزله الذي ينزله ومأواه الذي يأوي إليه لا غيرها[٢٣٥].

الخطاب بتقديم الطغيان على الايثار: قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨)} ومن الخطاب النصي ان تستعمل لفظة مكان أخرى لا يصلح مكانها غيرها، ومنه لفظ الطغيان، وقُدم ذكر الطغيان على إيثار الحياة الدنيا لأنّ الطغيان من أكبر أسباب إيثار الحياة الدنيا فلما كان مُسَبَّبا عنه ذُكِر عَقِبَه مراعاة للترتب الطبيعي. وبما أنّه السبب للانغماس في ملذات الدنيا كان هذا الترتيب أَولى من غيره لمخاطبة الطغاة [٢٣٦].

سؤال وجوابه: قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا(٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا(٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا(٤٥)) عجبا لهؤلاء الناس! أنّ قلوبهم أشدّ من الحجر، وأجلد من الصخر، وأجمد من الأرض. سؤال ملفت للنظر.. يسالونك؟ إشارة إلى المخاطب الحاضر وهو النبي(ﷺ) والمخاطب الغائب وهم المشركون بجميع اصنافهم. وإنّ إشارة الفعل المضارع تشير إلى أنّ هذا السؤال سوف يتكرر في كل زمان ومكان لأنّ الفعل المضارع له دلالة الاستمرار لما سياتي في المستقبل. والسؤال هنا ليس عن رب العالمين بل عن ذلك اليوم الذي كبوا به وهو يوم الجزاء:(أإنَّا لَمَرْدُودُوْنَ فِي الْحَافِرَة). يتساءلون عن الساعة: {أيَانَ مُرْسَاهَا}؟ وكل هذا مما يجعل

المخاطِب ـ المتكلم لإثبات الحق ـ أنْ يهتم بشان إثبات الحقيقة وإقناع المستمع المخاطَب والاتيان بالحجج والبراهين كي لا يكون لهم في الاخرة من عذر يعتذرون به. وهذا الاستئناف بياني إذ إن المشركين كانوا يسألون النبي (ﷺ) عن وقت حلول الساعة التي كانوا ينكرونها استهزاء، بل وكانوا يطلبون تعجيل وقوعها استخفافا بها لعدم وثوقهم بوقوعها؛ وليوهموا مَن حولهم باستحالة وقوعها. فضمير «يَسْأَلُونَ» عائد إلى المشركين؛ فجاء فعل السؤال بصيغة المضارع للدّلالة على تجدد هذا السؤال وتكرره في المستقبل من أمثالهم[٢٣٧].

واما لغة الخطاب بلفظ (أيّانَ) الذي هو: اسمٌ يُستَفهم به عن تعيين الوقت[٢٣٨].

فهي يسأل بها عن الاسبوع وأيامه والسنة وأشهرها ومن لطيف الخطاب إذا سالت بخطاب الزمان كان الجواب بالزمان ولا يصح غيره.[٢٣٩]

واستعمل لفظ الساعة بدل الطامة في حيثيات السؤال إظهار في مقام الإضمار لقصد استقلال الجملة بمدلولها مع تفنُّنٍ في التعبير عنها بهذين الاسمين الطّامّة والساعة. وإن جملة «أيان مرساها» بدل اشتمال من «الساعة»، لان أصل سؤالهم كان انكارا لقيام وارساء تلك الطامة.[٢٤٠]

وقوله: (فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها) فإنّ لفظ (مَا) في قوله: (فِيمَ) هو اسم استفهام بمعنى: أي شيء؟ تعجبا من سؤال السائلين عن الساعة ثم توبيخهم[٢٤١]. وهذا السؤال واقع موقع الجواب عن سؤالهم عن الساعة من إرادة تعيين وقتها استهزاء بوقوعها وهذا السؤال هو خلاف مقتضى الظاهر. وكان الأولى انشغالهم بغير هذا السؤال وهو مضمون قوله:{إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها}. ومثله ما رُوي في الصحيح أنّ رجلا سأل النبي (ﷺ) عن الساعة فقال له: (مَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟)[٢٤٢]، أي كان الأولى لك أنْ تصرف عنايتك إلى الاستكثار من الحسنات إعدادا ليوم الساعة. والخطاب وإن كان موجها إلى النبي (ﷺ) فالمقصود بلوغه إلى مسامع المشركين فلذلك اعتُبر اعتبار جواب عن كلامهم وذلك مقتضى فصل الجملة عن التي قبلها شأن الجواب والسؤال. والمعنى: انك لستَ في شيءٍ من علمِها، وليس عليك أن تعرف متى وقتها. وقولهُ تعالى: { إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ * إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا}؛ أي إنّما ينتفع بإنذارك مَن يخافها،[٢٤٣] أو ما أنت إلّا منذر[٢٤٤].

وأمّا قوله: {إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا} فهذا تعليل للإنكار السابق جوابا للسؤال، وأمّا إنْ كان من تتمة السؤال فيكون هذا جوابه. وما في قوله:(فِيم) فهي استفهامية للإنكار[٢٤٥]؛ لأن(ما) إذا كانت استفهاما، ودخل عليها حرف الجر، حُذفت ألفها. فلمّا ثبتت الألف، وقلت:(عمّا ذا تسأل؟)؛ دل على أنّهما رُكبا تركيب(إنّما)، وصارت الألف حشوًا[٢٤٦]. وإذا دخل على (ما) الاستفهامية حرف جر، بعُد من الاستفهام حيث عمل فيه ما قبله، وقرُب من الخبرية، فحذفوا ألفَه للفرق بين الخبر والاستخبار، فقالوا: (فيم)، و(عمّ)، والأصل: (فيما)، و(عمّا). قال الله تعالى: {فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا}. وقال: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ}[٢٤٧]. وإنّما خصوا ألف الاستفهامية بالحذف دون الخبرية؛ لأن الخبرية تلزمها الصلة، والصلة من تمام الموصول، فكأن ألفها وقعت حشوا غير متطرفة، فلم تحذف[٢٤٨].

إنّ موضوع لفظ (إنّما) أنْ تجئ لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لِما يُنزَّل هذه المنزلة. وبيان ذلك أنك تقول للرجل: (إنما هو أخوك) و(إنما هو صاحبُك القديمُ) لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به، إلّا أنّك تريد أنْ تُنبّهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب، فهنا لم يرد المخاطِب أنْ يُعلم المخاطَب الخبر؛ ولا المخاطَب ممن لا يعلم ذلك ولكنه أراد أنْ يعلمه الخبر أنّه أخوك وهو ممن له حق الأخوة والصحبة. وهذا مثيله قوله تعالى: {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا}. وكل ذلك تذكير بأمر ثابت معلوم. وذلك أنّ كل عاقل يعلم أنّه لا تكون استجابة إلّا ممن يسمع ويعقل ما يقال له ويدعى إليه، وأنّ من لم يسمع ولم يعقل لم يستجب. وقد خاطب الله تعالى بـ(إنّما) التي تتضمن معنى النفي والاثبات ولم يخاطب بصيغة النفي والاثبات الحقيقية لأنّ الخطاب بإنّما تفيد الخبر بأنّ المخاطَب يعلم بالخبر. أمّا خطاب الخبر بالنفي والاثبات كقولنا: (ما هذا إلّا كذا) و(إنْ هو إلّا كذا) فيكون للأمر ينكره المخاطَب ويشك فيه. فإذا قلت (ما هو إلّا مصيب) أو(ما هو إلّا مخطئ) قُلته لمن يدفعُ أنْ يكون الأمر على ما قُلت، وإذا رأيت شخصا من بعيد فقلت (ما هو إلّا زيد) لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنّه ليس بزيد، وأنّه إنسان آخر، ويجدُّ في الانكار أن يكون (زيدا) [٢٤٩].

<u>استعمال لفظ (من) للبيان</u>: قال تعالى:(مِنْ ذِكْرَاهَا): ولما كان استعمال (ما) الاستفهامية مبهمة المراد منها كان من الضروري بيان هذا المبهم فجاء الخطاب ليبين ما أبهم في السؤال وهو بلفظ(مِن) لذا تكون إمّا مبينة للإبهام الذي في(مَا) الاستفهامية؛ أي لستَ متصدِّيا لشيء هو ذكرَى الساعة، وإمّا صفة للمبتدأ فهي اتصالية، أي لستَ في شيء يتصل بذِكرَى الساعة كي تعيين وقتها[٢٥٠].

<u>تقديم وتأخير للاهتمام</u>: قال تعالى: {فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا} فقدم (فِيمَ) الذي يدل على خبر الساعة للاهتمام؛ أي أن الإنكار كان لمضمون خبر الساعة. وكل هذا مما يجعل المخاطب غير منقطع عن الاستماع حتى تطمئن نفسه[٢٥١]. فجاء البيان للمخاطَب بقوله تعالى: {إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها}، وهي علة الإنكار الذي في قوله تعالى: {فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها} وَلِذَلِكَ فُصِلَتْ عن الآية التي قبلها[٢٥٢]. ومن تقديم الجار والمجرور على المبتدأ قوله تعالى: {إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها} وهو تقديم بصيغة قصر صفة على موصوف؛ وهو خطاب للنبي(ﷺ)؛ أي لا إليك علم انتهائها بل الى الله تعالى فقط؛ أي لا يعلمها إلّا اللّه[٢٥٣].

<u>لغة الاستئناف</u>: ولما كان خطاب المشركين للنبي (ﷺ) بأنّه يعلم الغيب حينما طلبوا منه بعض المعجزات جاء الخطاب رادا عليهم بقوله تعالى: {فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها} فان قوله تعالى: {إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها} وهنا جاءت الجملة استئنافا بيانيا ناشئا عن جملة (فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها) وهو أن يسأل المخاطَب عن وجه إكثار النبي (ﷺ) ذكرها وأنّها قريبة، فأجيب بأنّ النبي (ﷺ) دعوته التحذير من بغتتها، وليس الإعلام بتعيين وقتها. وأنّ قوله تعالى:(إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها) جملة تأكيدية لما سبق من التعليل لإنكار السؤال. وهنا أفاد الخطاب بلفظ (إنّما) القصر وهو قصر الْمُخَاطَب على صفة الإنذار[٢٥٤].

خطاب من لا يؤمن: قال تعالى:{مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها} عرف أن خطاب النبي (ﷺ) لا يكون إلّا عامّا؛ لأنّه بُعث للناس كافّة؛ ولأنّ الانذار منه (ﷺ) خطاب تشديد وردع، وبهذا يرفع النبي (ﷺ) الملامة عنه، وهنا (قرأه الجمهور بإضافة منذر إلى من يخشاها. وقرأه أبو جعفر بتنوين مُنْذِرُ على أنّ مَن يخشاها مفعوله[٢٥٥]. وفي إضافة مُنْذِرُ إلى مَن يخشاها أو نصبِه به إيجاز حذف تقديره: مُنْذِرُها فيَتّعظ من يخشاها. والنبي (ﷺ) كان ينذر الناس جميعهم ولما كان الناس لا يُعرف منهم من يؤمن ممن لا يؤمن؛ كانت الدعوة للناس كافة. فتعيّن أنّ المراد: أنّه لا ينتفع بالإنذار إلّا من يخشى الساعة ومن عداه تمر الدعوة بسمعه فلا يأبه بها، فكان ذِكرُ مَن يخشاها تنويها بشأن المؤمنين وإعلانا لمزيتهم وتحقيرا للذين بقوا على الكفر قال تعالى: (وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ) [٢٥٦]. ومن هنا يفهم لماذا وُجِّه الخطاب بالإيمان إلى ناس قد علم اللّه أنّهم لا يؤمنون، وكشف الواقع على أنّهم هلكوا ولم يؤمنوا مثل زعماء الشرك من قريش، ومثل دعار العرب الذين أسلموا ولم يتركوا العدوان والفواحش، ومثل أهل الردة؛ لأنَّ ما في علم اللّه لا يبلغ الناس إلى علمه ولا تظهر نهايته إلَّا بعد الموت[٢٥٧]. وقراءة (منذر بالتنوين، وهو الأصل، والإضافة تخفيف، وكلاهما يصلح للحال والاستقبال، فإذا أريد الماضي فليس إلا الإضافة، كقولك: هو منذر زيد أمس؛ أي: كأنهم لم يلبثوا في الدنيا)[٢٥٨].

لغة التشبيه: قال تعالى: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا(٤٦)}

وهنا لغة التشبيه التي تجعل السامع منتبها الى ما يشبه به، فلا تنهي لديه القناعة ما لم يأت المشبه به وهذا الخطاب من أحسن الخطابات في لغة الاقناع العقلي أو الحسي؛ لأنّ التشبيه هنا جاء ليقرب الى الأذهان ما أنكره السامع وهو حق. لذا جاء هنا(جواب عمَّا تضمنه قوله: {يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها} باعتبار ظاهر حال السؤال من طلب المعرفة بوقت حلول الساعة واستبطاء وقوعها الذي يرمون به إلى تكذيب وقوعها، فأُجيبوا على طريقة الأُسلوب الحكيم؛ أي إنْ طال تأخر حصولها فإنَّها واقعة وأنَّهم يوم وقوعها كأنَّه ما لبثوا في انتظار إلَّا بعض يومٍ)[٢٥٩]؛ لذا جاء (الخطاب الظاهر أنَّه عام، والمقصود الكفار منكرو البعث، وقفهم على قُدرته تعالى)[٢٦٠]. ومن هذه اللغة لتقريب المعنى لفظ (العشيَّة)، والعشية: معبَّر بها عن مدَّة يسيرة من زمان طويل على طريقة التشبيه، وهو مستفاد من كأنّهم، فهو تشبيه حالهم بحالة من لم يلبث إلَّا عشية، وهذا التشبيه مقصود منه تقريب معنى المشبه من المتعارف[٢٦١].

استعمال لفظ (أو) التخييرية: ومن أسلوب الخطاب استعمال بعض الادوات لتقريب صورة المطلوب من الحدث إلى الأذهان ومن ذلك استعمال لفظ (أو) قال تعالى: (أَوْ ضُحَاهَا) ففي هذا العطف زيادة في تقليل المدة؛ لأنَّ مدة الضحى أقصر من مدة العشية[٢٦٢]. وهذا الخطاب لا ريب أنّه تهديد للسامعين ليأخذوا حذرهم من تأخير توبتهم لأنّ الأمر أقرب مما يتوقعونه. وأنّ قوله: (أَوْ ضُحَاهَا) (تخيير في التشبيه على نحو قوله تعالى: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ)[٢٦٣] فصار ضحى ذلك اليوم يُعَرَّف بالإضافة إلى عشية اليوم؛ لأنَّ العشية أقرب إلى علم الناس لأنّهم يكونون في العشية بعد أنْ كانوا في الضحى، فالعشية أقرب والضحى أسبق)[٢٦٤]. (والضحى وقت ارتفاع النهار، والعشي: ما بعد الزوال)[٢٦٥].

الخاتمة والنتائج: الحمد لله على تمام نعمته وفضل عطائه من فصل خطابه، والصلاة والسلام على صاحب جوامع الكلم وبعد:

فإنّ من خواص لغة الخطاب الافهام والاقناع. فما عرف البلاغة من لم يعرف لغة الخطاب. فبعد تمام بحث لغة الخطاب النصي لا بد من الاشارة الى الاتي:

ـ أن قوة الكلمة تعتمد على رديفتها في التركيب لإفصاح مكنونها وربما تعتمد على ما يضاف اليها من حروف الزيادة او ما يسمى بالتشديد وبيان النبر الصوتي للكلمة.

ـ ضرورة الحاجة في كل وقت عامة، والوقت الحاضر خاصة الى التعرف لفن الخطاب واساليبه وغاياته.

ـ لا تتحقق قيمة المفردة او التركيب ما لم تجد لها من توسع المعنى مجالا.

ـ ان قوة الكلمة تتحقق بما يقتضيه مقامها المخصص لها، فان كانت تعطي معنى واحدا فهي بما يحتاجه مقامها، وان كانت تدل على اكثر من معنى فهي بما يعطيه السياق.

ـ لن يصل المتكلم الى اذهان السامعين، ويشاركهم الحوار ما لم يعرف متى يتكلم ومتى يسكت. لغة الخطاب هي لغة التفاهم المجتمعي فمن دونها لا تتآلف المجتمعات.

ـ من حسن لغة القران أنْ جمع بين حسن الاداء في مواطن الخطاب والابتداء والوقف، واستعمال هذه اللفظة في محلها وغيرها في محل اخر، وبين جمال التركيب في استعمال الالفاظ داخل الجمل بحروف لا يصلح مكانها غيرها.

الهوامش

([١]) لسان العرب، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، ٢٠٠٣، مادة: (كلم).

([٢]) نسبه ابن بري للعجاج ولم أجده في ديوانه ولا في الدواوين الاخرى. ينظر: اللسان مادة: (كلم).

([٣]) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، دار الكتب العربي ـ بيروت/ لبنان، ١٩٥٢، ٣٣/١.

([٤]) ينظر: اللغة بين القومية والعالمية، إبراهيم أنيس، دار المعارف ـ القاهرة، ١٩٧٠، ٣٤.

([٥]) مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، دار الكتب العلمية . بيروت/لبنان، ط٤، ١٩٧٨، ٨٤/١ .

([٦]) ينظر: اللغة بين القومية والعالمية، ٣٤.

([٧]) ينظر: اللسان، مادة: (كلم)، ومعجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحـ: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩، مادة: (كلم)، ٢/ ٤٢١،

([٨]) ينظر: المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة العلمية ـ طهران، مادة: (كلم).

([٩]) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

([١٠]) سورة يونس، الآية: ٣٣.

([١١]) معجم مقاييس اللغة، مادة: (كلم). ٢/ ٤٢١.

([١٢]) ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة: (كلم). ٢/ ٤٢١.

([١٣]) سورة الكهف، الآية: ٥.

([١٤]) الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحـ: د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة . بيروت، ط٢، ٢٠١١، ٧٤٢.

([١٥]) مقالات في الأسلوبية دراسة، منذر عياشي، اتحاد الكتّاب العرب . دمشق، ط١، ١٩٩٠، ١٣٤.

([١٦]) سورة الرحمن: الآيات: ١ـ ٤

([١٧]) أسرار البلاغة، الامام أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة مصر الجديدة، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.: ٣.

([١٨]) الأساليب البيانية والخطاب الدعوي الواعي، د. نعمان شعبان علوان، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية بغزة – كلية أصول الدين، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥، ١٤٠١ـ ١٤٠٢.

([١٩]) سورة الذاريات، الآية: ٣١.

([٢٠]) ينظر: اللسان، مادة: (خطب).

([٢١]) ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن احمد الازهري، تحـ: عبدالسلام هارون، دار القومية العربية ـ مصر، ١٩٦٤، مادة: (خطب).

([٢٢]) ينظر: اللسان، مادة: (خطب).

([٢٣]) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون، تحـ: لطفي عبد البديع، الهيئة العامة للكتاب ـ مصر، ١٩٧٢، مادة: (خطب) ١٧٥/٢.

([٢٤]) الكليات، مادة: (خطب).

([٢٥]) إشكالية المصطلح النقدي (الخطاب و النص)، مجلة آفاق عربيةبغداد، السنة ١٨، آذار، ١٩٩٣، ٥٩.

([٢٦]) الخطابة واعداد الخطيب، د. عبدالجليل عبده شلبي، دار الشروق ـ القاهرة، ط٢، ١٩٨٦، ١٢.

([٢٧]) الأساليب البيانية، د. نعمان شعبان، ١٣٩١ .

([٢٨]) الادب والفن في الخطاب وتحليل الخطاب، عبدالرحيم الخلادي، الحوار المتمدن، العدد: ٢٩٧٩، في ٢٠١٠/٤/١٨، ٠٢:٠٢

([٢٩]) جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تحـ: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي . السعودية، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، ٤٥٠.

([٣٠]) الجامع المسند الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، تحـ: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٥٩/١.

([٣١]) ينظر: الاعْتِصَام، إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحـ: الشقير وآل حميد والصيني) تحـ ج٢: د سعد بن عبد الله آل حميد، دار ابن الجوزي . السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ٣١٣/٢.

([٣٢]) المسند الصحيح، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحـ: مجموعة من المحققين، دار الجيل . بيروت، مصورة من الطبعة التركية،١٣٣٤هـ، ١١/١.

([٣٣]) الأساليب البيانية،١٣٩٢.

([٣٤]) ينظر: اللسان، مادة: (نصص)، ١٣/ ٩٧–٩٨.

([٣٥]) ينظر: التهذيب، مادة: (نصص).

([٣٦]) ينظر: دلالة النص الشعري في تفسير النص القرآني دراسة في الدلالة النصية للقران الكريم، وائل عبدالله حسين، إشراف: د. يحيى عبدالرؤوف جبر، جامعة النجاح الوطنية . نابلس/ فلسطين،٢٠٠٤، ١٢٤.

([٣٧]) ينظر: المصدر نفسه، ١٢٥.

([٣٨]) سورة الشورى: من الآية: ١١.

([٣٩]) ينظر: مقالات في الأسلوبية، ص ٢٣١-٢٣٢ .

([٤٠]) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحـ: محمد رشيد رضا، دار المعرفة. بيروت، ١٩٨١، ٣٠٠، وينظر: مقالات في الأسلوبية، ٢٣١-٢٣٢. بتصرف.

([٤١]) دلائل الإعجاز، ٣٠٠. مقالات في الأسلوبية، ٢٣١-٢٣٢.

([٤٢]) ينظر: الأسلوبية ونظرية النص، د. إبراهيم خليل، دراسات وبحوث/ نقد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٧، ص٥٥-٥٦.

([٤٣]) مقالات في الاسلوبية، ٢٠٢.

([٤٤]) ينظر: مقالات في الاسلوبية، ٢٠٢.

([٤٥]) ينظر: الخطابة واعداد الخطيب، ٢١.

([٤٦]) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ) تحـ: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران ـ بيروت/ لبنان، ١٣٨٣. ١٩٦٤، ١.

([٤٧]) سورة البقرة، الآية : ١٧٩ .

([٤٨]) سورة المنافقون، الآية : ٤ .

([٤٩]) سورة الفتح، الآية : ٢١ .

([٥٠]) سورة يونس، الآية : ٢٣ .

([٥١]) الصاحبي، ٩ .

([٥٢]) الصاحبي، ١٠٤ .

([٥٣]) اسرار البلاغة: ٤ .

([٥٤]) ديوان امرئ القيس(ت٥٤٥)، اعتنى به: عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة ـ بيروت،ط٢، ٢٠٠٤، ١٤.

([٥٥]) اسرار البلاغة: ٥ .

([٥٦]) ينظر: الاعجاز والايجاز، عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي (٣٥٠- ٤٢٩هـ) تحـ: ابراهيم صالح، دار البشائر. دمشق، ٢٠٠١، ٤٩١.

([٥٧]) والمقصود بالحديث الرجل الذي يتشدق في الكلام بلسانه ويلفه، كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفاً. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد بن الاثير، تحـ: طاهر الزاوي، ومحمود الطاحي، القاهرة، ١٣٨٣. ١٩٦٣،: ٣/ ٤٥٠.

([٥٨]) بشر بن المعتمر ابو سهل الكوفي ثم البغدادي(ت٢١٠هـ) انتهت اليه رئاسة المذهب الاعتزالي، اديبا ممتازا في شعره ونثره، وهو راوية للشعر والاخبار، ومن مؤسسي علم البلاغة. من مؤلفاته: متشابه القران. ينظر: هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي(ت١٣٣٩هـ)المكتبة الاسلامية. طهران،١٩٥١:١/٢٣٢، والاعلام، خير الدين الزركلي(ت١٩٧٦م)، دار العلم للملايين ـ بيروت، طـ٦، ١٩٨٤: ٢/٢٨.

([٥٩]) البيان والتبيين : الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، تقديم: د. فوزي عطوى، دار صعب ـ بيروت، ١/٨٥.

([٦٠]) ينظر: الاساليب البيانية، ١٣٩٣.

([٦١]) الاساليب البيانية، ١٤٠٩.

([٦٢]) سورة يس: الآية/ ٢٢.

([٦٣]) ينظر: الاساليب البيانية، ١٤٠٩.

(٦٤) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي، تحـ: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت/ لبنان، طـ١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، ١٠/١٢٢.

(٦٥) اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي النعماني، تحـ: عادل احمد وعلي محمد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، طـ١، ١٤١٩- ١٩٩٨، ٢٠/١٢١.

(٦٦) ينظر: مشكل اعراب القران، مكي بن ابي طالب القيسي، تحـ: ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث ـ دمشق، ٢/٤٥٤، والتحرير والتنوير: ٣٠/٦٤ .

(٦٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/٦٥ .

(٦٨) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، طـ٣، ١٤٠٧هـ:٤/٦٩٢.

(٦٩) ينظر: فتح البيان في مقاصد القران، محمد صديق بن علي الحسيني، المكتبة العصرية . صيدا/ بيروت، ١٤١٢. ١٩٩٢، ٥١/١٥.

(٧٠) ينظر: الكشاف، الزمخشري،٦٩٢/٤، التحرير والتنوير: ٦١/٣٠.

(٧١) ينظر: البحر المحيط، ابو حيان محمد بن يوسف، تحـ: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، ١٤٢٠، ٣٩٤/١٠.

(٧٢) التحرير والتنوير: ٦١/٣٠ .

(٧٣) التفسير القرآني للقران، عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي . القاهرة، ١٤٢٩/١٦. ١٤٣٠.

(٧٤) ينظر: المصدر نفسه، ١٤٣٠/١٦، ١٤٣٢.

(٧٥) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الكلم الطيب –دمشق، بيروت،ط١– ١٤١٤هـ: ٤٥١/٥ ـ٤٥٢.

(٧٦) فتح البيان: ٥١/١٥.

(٧٧) ينظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحـ: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ٣٩٦/٩، وينظر: روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، دار الفكر– بيروت: ٣١٦/١٠.

(٧٨) ينظر: مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣– ١٤٢٠هـ ، ٢٨/٣١ ، التحرير والتنوير: ٦١/٣٠ .

(٧٩) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحـ: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١– ١٤٢٢هـ: ٥/ ٤٣١، وتفسير القرآن، منصور بن محمد السمعاني، تحـ: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن ـالرياض، ط١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م: ١٤٧/٦ ،

(٨٠) إعراب القرآن، أحمد بن محمد النَّحَّاس، علق عليه: عبدالمنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤٢١،١هـ: ٨٩/٥، وينظر: ، مشكل اعراب القران، ٤٥٤/٢، الكشاف: الزمخشري، ٦٩٣/٤، شرح الكافية الشافية، محمد بن عبدالله بن مالك، تحـ: عبدالمنعم هويدي، جامعة ام القرى . مركز البحث العلمي، ط١، ٨٦٧/٢، البحر المحيط: ٣٩٣/١٠.

(٨١) ينظر: الجمل في النحو، الخليل بن احمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ)، تحـ: د. فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ١٨٨ـ ١٨٩، الكتاب، سيبويه، تحـ: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣، ٢٨٦/٣. وارتشاف الضرب من لسان العرب، لابي حيان الاندلسي، د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ص١٧٨٩، والمساعد على تسهيل الفوائد، شرح ابن عقيل على كتاب التسهيل لابن مالك، تحـ: محمد كامل بركات، دار المدني، ٣٢٨/٢. و التحرير والتنوير: ٦١/٣٠ .

(٨٢) مغني اللبيب، عبدالله بن يوسف بن هشام، تحـ: مازن المبارك ومحمد حمدالله، دار الفكر ـ دمشق، طـ٦، ١٩٨٥، ٣١٠/١ و ٣٥٩.

(٨٣) سورة البقرة: الآية/ ١٠٣ .

(٨٤) ينظر: معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، تحـ: أحمد يوسف ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، طـ١، ٢٣٢/٣، الكشاف، ٦٩٣/٤، مغني اللبيب، ٣١٠/١ و ٣٥٩.

(٨٥) التفسير المظهري، ، محمد ثناء الله المظهري، تحـ: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان، ١٤١٢ هـ.: ١٩٠/١٠.

(٨٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحـ: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، طـ٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، ١٩٠/١٩.

(٨٧) التحرير والتنوير: ٦١/٣٠.

(٨٨) سورة الحجرات: الآية/ ١٤.

(٨٩) ينظر: فتح القدير، ٤٥١/٥ ـ٤٥٢.

(٩٠) ينظر: معاني القران، الفراء: ٢٣٠/٣، وغريب القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦هـ)، تحـ: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م، ٤٣٧/١ .

(٩١) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، ١٢٢/١٠.

(٩٢) محاسن التأويل: ٣٩٦/٩.

(٩٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحـ:د. أحمد محمد الخراط، دار القلم ـ دمشق، ٦٦٧/١٠، محاسن التأويل: ٣٩٦/٩.

(٩٤) اللباب: ١٢٢/٢٠ .

(٩٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٦٦/٣٠ و ٦٩.

(٩٦) المصدر نفسه: ٣٠/ ٦٩.

(٩٧) ينظر: معاني القران، سعيد بن مسعدة الأخفش، تحـ: د. هدى محمود، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، طـ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، ٢/ ٥٦٥.

(٩٨) ديوان قيس بن الخطيم، تحـ: د. ناصر الدين الاسدي، دار صادر ـ بيروت:١٣، ولم اجده كما رواه صاحب الدر

المصون في: ٦٧٠/١٠، وصاحب اللباب في:١٢٩/٢٠، والذي وجدته في الديوان هو:

(إنَّا وَلَوْ قَدَّمُوا التي عَلِمُوا ** أَكْبادُنَا مِنْ وَرَائهِمْ تَجِفُ).

(٩٩) الدر المصون: ٦٧٠/١٠، وينظر: اللسان مادة: (وجف).

(١٠٠) الكشف والبيان للثعلبي: ١٢٤/١٠، وينظر: اللسان مادة: (وجف).

(١٠١) الكشف والبيان للثعلبي: ١٢٥/١٠، وينظر: البحر المحيط: ٣٩٣/١٠، وينظر: اللسان مادة: (وجف).

(١٠٢) ينظر: الكشاف، ٦٩٦/٤.

(١٠٣) سورة القمر: الآية: ٧ .

(١٠٤) سورة القيامة: الآية: ٢٤.

(١٠٥) سورة النازعات: الآية: ٤٦.

(١٠٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحـ: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١٤٢٠،١هـ-٢٠٠٠م: ١٩٣/٢٤ .

(١٠٧) التفسير القرآني للقران: ١٤٣٣/١٦.

(١٠٨) تفسير المظهري: ١٨٨/١٠، معجم القراءات، د. عبداللطيف الخطيب، دار سعد الدين .دمشق، ٢٠٠٠م: ١٠/ ٢٨٠.

(١٠٩) التحرير والتنوير: ٦٨/٣٠ ـ ٦٩.

(١١٠) سورة هود: الآية: ٧٤.

(١١١) ينظر: التحرير والتنوير: ٦٩/٣٠.

(١١٢) تفسير غريب القرآن، كاملة بنت محمد بن علي الكواري، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٨: ١٠/٧٩

(١١٣) المحرر الوجيز: ٤٣١/٥.

(١١٤) ينظر: الكشاف، ٦٩٢/٤، التحرير والتنوير: ٦٩/٣٠.

(١١٥) ينظر: تفسير المظهري: ١٨٨/١٠.

(١١٦) ينظر: معاني القران للأخفش، ٥٦٥/٢، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن، د. أحمد بن محمد الخراط ، مجمع الملك لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ: ١٤١٣/٤.

(١١٧) معجم القراءات، ١٠/ ٢٨٠.

(١١٨) ينظر: جامع البيان: ١٩٥/٢٤، الكشاف، ٦٩٣/٤

(١١٩) الكشاف: ٦٩٤/٤.

(١٢٠) البيت لابن الاعرابي كما ذكر في الكشاف: ٦٩٤/٤ وليس لعمران بن حطان كما ذكر ابن السيد البطليوسي في كتابه: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، لأبي محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري، تحـ: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ٤١٥/١.

(١٢١) الفاخر، المفضل بن سلمة(ت٢٩٠) تحـ: عبد العليم الطحان، دار احياء الكتب العربية، ط١، ٢٧٩/١، جمهرة الامثال، الحسن بن عبدالله العسكري، دار الفكر- بيروت، ٣١٠/٢.

(١٢٢) ينظر: معاني القران للفراء: ٢٣٢/٣ وينظر: الكشاف: ٦٩٤/٤.

(١٢٣) معاني القران للفراء: ٢٣٢/٣.

(١٢٤) الجمل في النحو، ٢٠٩/١ .

(١٢٥) تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر(١٠٤)، تحـ: محمد ابو النيل، دار الفكر الاسلامي - مصر، ط١، ١٩٨٩، ٧٠٢/١، الجمل في النحو، ٢٠٩/١، المحرر الوجيز: ٤٣١/٥.

(١٢٦) ينظر: غريب القران لابن قتيبة: ٤٣٨/١، وتفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام الطبراني: ٢١٠/٩.

(١٢٧) ينظر: جامع البيان: ١٩٥/٢٤، التحرير والتنوير: ٧١/٣٠، المجتبى ١٤١٣/٤.

(١٢٨) تفسير المظهري: ١٨٩/١٠.

(١٢٩) المجتبى ١٤١٣/٤.

(١٣٠) اللباب: ١٣٣/٢٠، وينظر: المجتبى : ١٤١٣/٤.

(١٣١) الجمل في النحو، ٢٠٩/١.

(١٣٢) ينظر: الكشاف، ٦٩٤/٤، الدر المصون: ٦٧٣/١٠.

(١٣٣) ينظر: تفسير المظهري: ١٨٩/١٠.

(١٣٤) سورة الزمر: الآية/ ٦٨.

(١٣٥) ينظر: مفاتيح الغيب، ٢٨/٣١ .

(١٣٦) ينظر: المصدر نفسه.

(١٣٧) ينظر: معاني القران للفراء: ٢٣٢/٣، وينظر: الطبري: ١٩٦/٢٤.

(١٣٨) ديوان امية بن أبي الصلت تحـ: د. سجيع جميل الجبيلي، دار صادر - بيروت، ط١، ١٩٩٨. هـ : القصيدة ١٥/ ٣٢.

(١٣٩) ينظر: مجمع البيان ، ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المجمع العالمي لأهل البيت، ٢٢٩/١٠.

(١٤٠) ينظر: الجامع لأحكام القران، القرطبي: ٢٠٠/١٩.

(١٤١) الجامع لأحكام القران، ٢٠٠/١٩ .

(١٤٢) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم، دار الشروق – بيروت/القاهرة، ط١٧، ١٤١٢ هـ : ٣٨١٤/٦.

(١٤٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٨/٣١، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، جمعه: محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، دار الكتب العلمية – لبنان: ٥٠٠/١، إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت٣٣٨هـ) تعليق: عبدالمنعم خليل، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٩٠/٥، تفسير السمعاني: ١٤٩/٦

(١٤٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، تحـ: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١– ١٤١٨هـ: ٢٨٣/٥، واللباب: ١٣٥/٢٠، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٧٥.

(١٤٥) القران العظيم للطبراني: ٢١٢/٩.

(١٤٦) في ظلال القران: ٣٨١٤/٦.

(١٤٧) المصدر السابق.

(١٤٨) في ظلال القران: ٣٨١٤/٦.

(١٤٩) الجامع لأحكام القران، القرطبي: ٢٠١/١٩.

(١٥٠) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي، تحـ: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب ـ بيروت، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م: ٥٩٧/٣.

(١٥١) ينظر: محاسن التأويل: ٣٩٨/٩.

(١٥٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٨/٣١، روح البيان: ٣١٩/١٠.

(١٥٣) سورة آل عمران: الآية/ ١٠٣.

(١٥٤) سورة آل عمران: الآية/ ١٦٤.

(١٥٥) ينظر: الكشاف: ٤٣٦/١، مغني اللبيب، ٢٣٤/٢.

(١٥٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٧٥، وفتح البيان: ٦١/١٥

(١٥٧) المجتبى: ١٤١٣/٤.

(١٥٨) ينظر: اللسان، مادة: (ندى). ٨/ ٢٦٧ .

(١٥٩) روح البيان: ٣١٩/١٠.

(١٦٠) القران العظيم للطبراني: ٢١٣/٩.

(١٦١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٨/٣١.

(١٦٢) مفاتيح الغيب: ٣٨/٣١، وينظر: الكشاف: ٦٩٥/٤، والبيضاوي: ٢٨٣/٥، ومعجم القراءات، د. عبداللطيف الخطيب، دار سعد الدين . دمشق، ٢٠٠٠م.: ٢٨٥/١٠.

(١٦٣) الدر المصون:٦٧٦/١٠.

(١٦٤) ينظر: جامع البيان: ١٩٥/٢٤.

(١٦٥) سورة طه: الآية/ ٤٤.

(١٦٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٧٥.

(١٦٧) سورة طه: الآية/ ٤٤.

(١٦٨) روح البيان: ٣٢٠/١٠.

(١٦٩) ديوان كعب بن زهير بن ابي سلمى، دار صادر ـ بيروت.، ٣٨، وروي بقوله:

ألا أبلغا عني بُجيراً رسالةً ** فهل لك فيما قلتَ بالخيفِ هل لكا.

(١٧٠) ينظر: معاني القران، الفراء، ٢٣٢/٣.

(١٧١) التبيان في إعراب القرآن، عبد الله بن الحسين ابو البقاء العكبري، تحـ: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه: ١٢٦٩.

(١٧٢) سورة البقرة: الآية/ ١٨٧.

(١٧٣) ينظر: الخصائص، عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحـ: محمد علي النجار، عالم الكتب ـ بيروت، ٣٠٨/٢ ـ ٣١١، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٧٦، وينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، تحـ: مكتب البحوث والدراسات. ،دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م: ٤١٩/٨.

(١٧٤) سورة فاطر: الآية/ ٢٨.

(١٧٥) ينظر: الكشاف، ٦٩٦/٤ ، الجامع لأحكام القران، القرطبي، ٢٠٣/١٩.

(١٧٦) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٩/٣١، تفسير المظهري: ١٩٠/١٠.

(١٧٧) سورة الشعراء: الآية/ ٣٠.

[١٧٨] ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٩/٣١ .

[١٧٩] ينظر: في ظلال القران: ٣٨١٨/٦.

[١٨٠] سورة الشعراء: الآية: ٣٠. ٣٢.

[١٨١] سورة البقرة: الآية: ٦٠.

[١٨٢] مفاتيح الغيب: ٤٠/٣١، وينظر: تفسير المظهري: ١٩٠/١٠.

[١٨٣] ينظر: روح البيان:٣٢١/١٠.

[١٨٤] سورة الاعراف: الآية/ ١٠٦. .

[١٨٥] روح البيان: ٣٢٠/١٠، وينظر: التحرير والتنوير: ٨١/٣٠.

[١٨٦] تفسير المجتبى: ١٤١٤/٤.

[١٨٧] اعراب القران للنحاس: ٩١/٥.

[١٨٨] المصدر نفسه: ٩١/٥.

[١٨٩] ينظر: فتح البيان: ٦٣/١٥.

[١٩٠] ينظر: الكشاف: ٤/ ٦٩٦، التفسير المظهري: ١٩٠/١٠، مجمع البيان، الطبرسي، ٢٣٥/١٠.

[١٩١] ينظر: مشكل اعراب القران، ٤٥٥/٢.

[١٩٢] سورة البقرة: الآية/ ٦٦ .

[١٩٣] ينظر: التحرير والتنوير: ٨١/٣٠ .

[١٩٤] صحيح مسلم: ٧/ ٥٧ .

[١٩٥] ينظر: الكشاف: ٤/ ٦٩٦، مجمع البيان، الطبرسي، ٢٣٥/١٠.

[١٩٦] ينظر: الجامع لأحكام القران: القرطبي: ٢٠٣/١٩.

[١٩٧] التحرير والتنوير: ٨٣/٣٠ .

[١٩٨] ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، ٢٣٥/١٠.

[١٩٩] سورة يس: الآية/ ٧٨. ٧٩ .

[٢٠٠] ينظر: الكشاف: ٦٩٦/٤، التحرير والتنوير: ٨٣/٣٠ ، تفسير المظهري: ١٩٠/١٠.

[٢٠١] التحرير والتنوير: ٨٣/٣٠ .

[٢٠٢] سورة غافر: الآية: ٥٧ .

[٢٠٣] ينظر: تفسير القرطبي: ٢٠٣/١٩ .

[٢٠٤] ينظر: المقتضب: محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ)، تحـ: محمد عبدالخالق عظيمة، عالم الكتب . بيروت، ٢٨٧/٣. الاصول في النحو، محمد بن السري بن السراج، تحـ: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت/لبنان، ٥٧/٢، وشرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش، قدم له: د. اميل يعقوب، دار الكتب العلمية ـ بيروت/لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، ١٧/٥.

[٢٠٥] ينظر: المقتضب: ٢٨٧/٣، الاصول في النحو: ٥٧/٢، شرح المفصل للزمخشري: ١٧/٥.

[٢٠٦] ينظر: الكشاف، ٦٩٥/٤، فتح القدير، ٤٥٨/٥.

[٢٠٧] اللسان مادة: (سَمك) .

[٢٠٨] ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٨٥ ، تفسير المظهري: ١٩١/١٠ .

[٢٠٩] سورة النساء: الآية: ٩٠ .

[٢١٠] معاني القران للاخفش،١/ ٢٦٣، تفسير الكشاف: ٦٩٦/٤.

[٢١١] ينظر: جامع البيان: ١٩٥/٢٤، الدر المصون:٦٧٦/١٠، فتح القدير،٤٥٨/٥، التحرير والتنوير: ٨٧/٣٠.

[٢١٢] ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٩/٣١، الجامع لأحكام القران، القرطبي، ٢٠٣/١٩.

[٢١٣] ينظر: الدر المصون:٦٧٦/١٠، فتح القدير،٤٥٨/٥.

[٢١٤] ينظر: التبيان في إعراب القرآن، ١٢٦٩.

[٢١٥] روح البيان: ٣٢٦/١٠، وينظر: فتح القدير، ٤٥٨/٥.

[٢١٦] ينظر: إعراب القران للنحاس: ٩١/٥، التبيان في إعراب القرآن، ١٢٦٩.

[٢١٧]ينظر: مشكل اعراب القران، ٤٥٦/٢، الكشاف:٦٩٨/٤، اللباب:١٤٦/٢٠.

[٢١٨] ينظر: تفسير المجتبى: ١٤١٦/٤ .

[٢١٩] ينظر: الكتاب، ٨٧/١،

[٢٢٠] ينظر: شرح المفصل، ٤/ ١١٧، شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبدالله بن مالك، تحـ: عبدالرحمن السيد ومحمد المختون، هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م، ٢٦٢/١.

[٢٢١] ينظر: في ظلال القران: ٣٨١٨/٦ .

[٢٢٢] سورة الاسراء: الآية: ١٤ .

[٢٢٣] التحرير والتنوير: ٩٠/٣٠، وينظر: تفسير المجتبى: ١٤١٦/٤ .

[٢٢٤] ينظر: تفسير المظهري: ١٩٢/١٠ .

[٢٢٥] في ظلال القران: ٣٨١٨/٦ .

[٢٢٦] ينظر: اللباب: ١٤٧/٢٠.

[٢٢٧] ينظر: الكشاف: ٦٩٨/٤ ، الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٧/١٩،.

[٢٢٨] تفسير ابن عطية: ٤٣٤/٥ .

[٢٢٩] ينظر: الكشاف: ٦٩٨/٤، ومعجم القراءات: ٢٩٢/١٠، زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحـ: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ: ٣٩٧/٤.

[٢٣٠] سورة الفرقان: الآية: ١٢ .

[٢٣١] البحر المحيط: ٤٠١/١٠، ومعجم القراءات: ٢٩٣/١٠، وينظر: اللباب: ١٤٧/٢٠.

[٢٣٢] ينظر: التحرير والتنوير: ٩٠/٣٠ .

[٢٣٣] ينظر: التبيان في إعراب القرآن، ١٢٦٩.

[٢٣٤] ينظر: معاني القران للفراء، ٢٣٤/٣، تفسير المظهري: ١٩٢/١٠.

[٢٣٥] ينظر: فتح البيان: ٦٩/١٥.

[٢٣٦] ينظر: التحرير والتنوير: ٩٠/٣٠.

[٢٣٧] ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٩/٣١.

[٢٣٨] ينظر: مشكل اعراب القران، ٤٥٦/٢، اللباب: ١٤٧/٢٠.

[٢٣٩] ينظر: الاصول في النحو، ١٢٦/٢ .

[٢٤٠] ينظر: التحرير والتنوير: ٩٥/٣٠ ، تفسير المجتبى: ١٤١٦/٤.

[٢٤١] ينظر: التبيان في إعراب القرآن، ١٢٦٩، البحر المحيط: ٤٠١/١٠.

[٢٤٢] المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني(ت٣٦٠هـ) تحـ: طارق بن عوض الله الحسيني، دار الحرمين ـ القاهرة، ٤٠/١.

[٢٤٣] ينظر: القران العظيم للطبراني: ٢٢٢/٩، تفسير السمرقندي: ٥٤٥/٣، التحرير والتنوير: ٩٥/٣٠ .

[٢٤٤] ينظر: الكتاب، ٢٢/٣، وشرح المفصل، ٥٢٢/٤.

[٢٤٥] ينظر: تفسير المظهري: ١٩٥/١٠ـ ١٩٦، التحرير والتنوير: ٩٥/٣٠ ـ ٩٦.

[٢٤٦] شرح المفصل، ٣٨٧/٢، الانصاف في مسائل الخلاف، عبد الرحمن بن محمد ابو البركات الانباري، المكتبة العصرية، ط١، ١٣٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، ١٧٢/١، و٤٦٦/٢.

[٢٤٧] سورة النبأ، الآية: ١.

[٢٤٨] ينظر: الصاحبي: ١١٥، شرح المفصل، ٤١٠/٢. مغني اللبيب، ، ٣٩٣/١.

[٢٤٩] ينظر: دلائل الاعجاز: ٣٣٠.

[٢٥٠] ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٢٦٩، التحرير والتنوير: ٣٠/ ٩٦.

[٢٥١] ينظر: فتح القدير، ٤٦٠/٥.

[٢٥٢] ينظر: الكشاف: ٦٩٨/٤، البحر المحيط: ٤٠١/١٠.

[٢٥٣] ينظر: المصدران نفساهما.

[٢٥٤] ينظر: دلائل الاعجاز: ٣٤٥، تفسير المظهري: ١٩٦/١٠،والتحرير والتنوير: ٩٧/٣٠.

[٢٥٥] ينظر: معجم القراءات: ١٠/ ٢٩٣.

[٢٥٦] سورة فاطر: الآية: ٢٢، ٢٣.

[٢٥٧] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٨/١٩ ، مجمع البيان، الطبرسي، ٢٣٥/١٠.

[٢٥٨] الكشاف: ٦٩٩/٤، ومعجم القراءات: ١٠/ ٢٩٣.

[٢٥٩] التحرير والتنوير: ٩٨/٣٠.

[٢٦٠] البحر المحيط: ٤٠٠/١٠ .

[٢٦١] ينظر: الكشاف، ٦٩٩/٤ـ٧٠٠، فتح القدير، ٤٦٠/٥، مجمع البيان، الطبرسي، ٢٣٥/١٠.

[٢٦٢] ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٩/٣١.

[٢٦٣] سورة البقرة: الآية: ١٩.

[٢٦٤] التحرير والتنوير: ٩٩/٣٠.

[٢٦٥] القران العظيم للطبراني: ٢٢٣/٩.

The purpose behind writing this paper is to protect a really high language. This subject has been chosen due to the importance and value of the subject matter which has not dealt with in such Surat as Nazi'at.

The study has several topics: the meaning of language, discourse and text and the semantic overlap in between. There is also an outline of linguists who tackle these terms. And the characteristics of this language in style, lexicon and sense. Finally, there is a presentation of the discourse semantic images available in Surat Al Nazi'at.

The main goal of the study is the apparent weakness of a large scale segment of the Arab intellectuals and graduates who might even dislike their mother tongue.

Recommendations :

- There is an urgent need, particularly at the present time, to learn the discourse art, its approaches and objectives.
- A speaker would never be heard well and interacted unless they can start and stop speaking at suitable times.
- The language of discourse is the language of social communication without which societies can never co-live.
- One can never find such a discourse language as that of the Holy Quran.